روايات عبير الجديدة

آن ميثر

# عصفورة النار

www.elromancia.com

مرمورية

# روايات عبير الجديدة

## عصفورة النار ـ آن ميثر

ذعرت سارة عندما علمت أن رئيسها الجديد هو مارك فينويك، الرجل الذي وقعت بحبه منذ ثلاث سنوات... الرجل الذي جعلت من نفسها غبية أمامه، والذي أذاها كثيراً.

في الوقت الراهن لا توجد طريقة للتخلص من هذا الوضع. وهي تعرف أن مارك لم يفكر بها منذ تلك الايام وحتى الآن، ولكنها لم تكن متأكدة أبداً، وحتى الآن، انها تستطيع السيطرة على مشاعرها تجاهه...

وعندما التقيا وبدأت التفاعلات القديمة تعمل اصبحت أقل ثقة. ومع ذلك، فلماذا سيكون مهتماً بها الآن أكثر مما مضى... وخاصة أن دولريس جوريز الفاتنة رهن إشارته وفي متناول يده؟

www.elromancia.com
روايات رومنسية

# ١. نافذة على الماضي

اختفى صوت سارة شاو، وهذا شيء لا تذكر أنه حدث لها منذ زمن بعيد، وأكمدت عيناها وهي تقول:

ـ كنت أتمنى لو أنك اعلمتني مسبقاً بالأمر يا سيد دنت، فليس من الانصاف أن ترمى الأنباء هكذا في وجه الآخرين!

وتطلع جورج دنت بسكرتيرته بدهشة، فقد تم كل شيء في المرحلة الأخيرة من التسلم والتسليم بسهولة. والسير دايفد ومجلس إدارته لم يناقشوا التفاصيل كثيراً. وذلك عائد دون شك إلى واقع أن المدير الإداري لدى السير دايفد، مارك فينويك، هو رجل قدير ذو ذكاء لامع، وعلى إلمام بأدق الشؤون التي تخص شركة جورج دنت.

وتنهد جورج وهو يتأمل وجه سكرتيرته الشابة سارة المضطرب بشكل غير عادي.

بسبب جهد مارك فينويك تم استلام شركة جورج بسهولة رائعة. صحيح أن الطريقة التي سينهي بها حياته العملية، بأن تستولي شركة ضخمة مثل شركة «استرو كاميكالز» على شركته، هي طريقة غير مرضية، على الرغم من أن المبلغ المدفوع كان يفوق ما تخيله. ولا يستطيع الإنكار أنه كان يفضل أن يبقى مرفوع الراية حتى النهاية. على كل الأحوال، ولأنه لا عائلة له يتركها لهم، ومنفصل عن ابنه السيء السمعة الذي نادراً ما يلتقيه، فإن الأمر هكذا أفضل له..

وخاطب سارة بلهجة مرحة لطيفة:

ـ آسف يا سارة لأنك تشعرين أن من اللازم أن استشيرك. ولكنها ليست غلطتي لوحدي. فقيد أصرت شركة استرو على السرية المطلقة حتى يتم كل شيء. ولم أكن في وضع أستطيع معارضتهم.

وعضت سارة على شفتها إذ لا زالت متوترة، وجورج كان دائماً لطيفاً معها. وهزت رأسها قائلة:

ـ يصعب على كبريائي قبول الأمر. كما يصعب عليّ أنني لم أكن أعلم بما يجري. ولكن من المفترض بالسكرتيرة الجيدة أن تعلم حتى بما يفكر به رئيسها! ولست متأكدة من أنني أرغب في البقاء مع رئيس جديد يا سيد دنت.

ـ سارة! كلنا لا نحب التغيير. أنت سعيدة معي لأنك تعرفين طريقة عملي. ولقد علمتك الكثير، كما أنك تعرفين كل شيء عن الشركة مثلي تماماً. ولهذا السبب بالذات ترغب بك شركة «استرو كاميكالز».

وابتسم جورج لها ابتسامة من لا يوافق على رأيها وتابع:

ـ من الصعب استبدالك فوراً. ولو أنني قبلت بالبقاء في مركزي لما تغير شيء. ولكنني قررت التقاعد. وشركة استرو ترغب في أن يسير كل شيء بسهولة قدر المستطاع. ومارك فينويك يعجبني، فقد أمضى فترة طويلة في الخارج، وهو لا يحب أن يبدد الوقت سدى على شيء جديد عليه.

ـ مديرهم الإداري هذا...

وترددت وقد تعرقت يداها وشعرت أنها غير قادرة على لفظ اسمه.

ـ أليس من الأفضل لشركة مثل «أسترو كاميكالز» أن ترسل شخصاً أقل منه رتبة؟

فور تفوهها بهذا القول شعرت أنها أخطأت فلجورج دنت كبرياؤه، هو حساس جداً في هذه الأيام. ولكنه قال لها بهدوء:

ـ بالطبع، ولكنه لا ينوي البقاء بصورة دائمة. ومؤسسته كبيرة على الرغم من سجلها السيء الحظ خلال السنتين الماضيتين، والأمر يبدو



وكأنه تحد لرجل مثل فينويك، والشخص الذي سيثق به سيكون أهلاً لهذه الثقة. وستكونين مساعدة عظيمة له. فهو بحاجة الى شخص مثلك ليعمل كنوع من مخفف الصدمات عنه، ويتعامل مع المتطلبات الكبيرة التي سيواجهها على الأقل في الستة أشهر الأولى.

ومرة أخرى شعرت سارة بصعوبة في تنفسها وهي تقول:

ـ هل... هل سأل عن اسمي؟

ـ لا، وكان من الأفضل لي أن اذكره عندما كنت أصف له مقدرتك، آمل أن لا تجدي صعوبة معه يا سارة!

ـ ولكن ستة أشهر؟

وبدا كلامها يائساً حتى في اذنيها، ولم يلاحظ جورج ذلك، ولم يكن حتى يستطيع أن يخمن لماذا! وقطب حاجبيه في أول اشارة لنفاذ صبره.

ـ إنها ليست فترة طويلة يا فتاتي. وأكد لي مارك فينويك أنه سيعتني بك جيداً، وانت تعرفين ماذا يعني لي ذلك التحول إضافة الى ذلك سيكون وضعك أفضل.

وهزت سارة رأسها يائسة، وهي تشعر أن التيار قد جرفها نحو رجل لم تكن تريد أبداً أن تراه مرة أخرى.

ـ أنا فقط لا أحب فكرة العمل مع غريب. ليس مع رجل من هذا النوع على كل الأحوال.

ـ أظن أنك ستفعلين، فلديك عقل ممتاز، وسيدفعك هذا إلى الأمام إذا استفدت من الفرصة. هل تعرفين الرجل؟

وازدادت حدة نظرته، وكأنما ظهر له شيء ما في وجه سارة الممتقع، وأنعم التفكير ورجع بذاكرته الى الوراء.

ـ لقد عملت سابقاً في مؤسسة ما في لندن أليس كذلك يا سارة قبل أن تأتي إلى هنا؟

ـ في الحقيقة كانت شركة «أسترو كاميكالز» التي عملت فيها.

ـ يا الهي، أظن أنك أخبرتني من قبل وقد نسيت.

ـ لا تهتم بالأمر، على الأقل تركتهم بمحض إرادتي.

وبد عليه الارتياح، دون أن يلاحظ اضطرابها.

ـ أظن أن مركزك كان صغيراً، كما أظن أنك لم تقتربي أبداً من الإدارة العليا، أنا أفهم الآن ماذا يقلقك. ولكن لا أظن أنك يجب أن تذكري هذا للسيد فينويك إلا إذا كنت راغبة في ذلك.

وتهدج صوتها، وشعرت بالألم مرة أخرى. فالشقاء القديم الذي أملت بأنها نسيته، عاد إلى البروز بسرعة في حياتها.

ـ أنا... أنا في الواقع قابلت بعض من في القمة. لقد تبادلت بعضاً من الحديث مع مارك فينويك، وأظن أنني لم أعجبه، لذا لا أعتقد أنها فكرة جيدة أن أبقى هنا وأعمل معه..

ـ [illegible]ان عادة شديدو التأثر يا سارة... ولا أظن أن رجلاً مثل فينويك [illegible]يزال يذكرك، وأظن أنه نسي كل شيء عنك بعد خمس دقائق. وبماذا تحدثتم؟ لم أكن أظن أن رجلاً في مركزه يتصل بالموظفين الادنى رتبة.

ـ معك حق.

وبذلت سارة جهداً كبيراً لتتظاهر أنها لم تلاحظ سؤاله الأخير. وترددت برهة، وعندما بدا أن جورج سيعيد السؤال سارعت للقول:

ـ أيامي في لندن كانت قصيرة، وأصبحت الآن من الماضي. وأنا قادرة على فصل الأشياء عن بعضها. ساحاول البقاء الى أن يستطيع السيد فينويك الاستقرار هنا، ولكنني لا أضمن قبوله بي.

ـ هذا أمر منصف، بعض الأحيان من المفيد مواجهة الأحداث الماضية، فقد تجدين أنها غير ذات تأثير، وتستطيعين نسيانها. وأنا متأكد أن مارك فينويك يفضل العمل مع التحدي، هذا إذا استطعت المحافظة على نفسك.

واطلقت سارة ضحكة بدت رقيقة ومرحة، عكس ما كانت تشعر به.

ـ اقدر لك اهتمامك بي سيد دنت، ولكن لا تقلق، فأنا أذكر القليل عن سمعة السيد فينويك. على كل قد يكون الآن متزوجاً ومستقراً.



وأخذت سارة تفكر وهي في طريقها ذلك المساء الى منزلها. لقد كانت صدمة كبيرة لها عندما علمت، بعد عودتها من الاجازة، أن جورج قد باع الشركة وسيتقاعد. إضافة إلى صدمة أخرى بأن الشركة قد اصبحت ملكاً «لأسترو كاميكالز» وادركت أنها لا تستطيع عمل شيء بهذا الخصوص كما لا تستطيع تغيير الماضي.

للسنتين أو الثلاث الماضية كانت تعيش مع عمها وزوجته في فندقهما على مشارف المدينة. وهي تحب أن تقول ان هذا المكان في الضواحي، ولكنه كان في الحقيقة قريب كفاية من مكان عملها. وحاولت أن تقنع نفسها بأنها تتمتع بالعيش في الفندق، حيث هناك تسهيلات أكثر مما تستطيع أن تجده في المساكن الأخرى. ولكنها كنت تعلم أنها أحياناً تشتهي أن يكون لها منزل عادي. جدها، هو الذي أسس هذا الفندق، بعد أن رجع من فرنسا وتزوج فتاة فرنسية. ابنه الأكبر، عم سارة، رينيه، هو المسؤول عن الفندق الآن، وقد وسع أجنحته حتى أصبح يحتوي على مئة غرفة، ولم تكن سارة تعيش في شقة العائلة لأنها كانت مزدحمة بعمها وزوجته وولديها. بل كانت تعيش في غرفة صغيرة على سطح الفندق، حيث تصر على دفع مبلغ صغير كل اسبوع، وتعوض عن هذا المبلغ الصغير بالمساعدة ليلاً عندما يكون الموظفون قلة. وقطبت سارة، وتذكرت كم كانت تواقة منذ ثلاث سنوات لتغادر هذا المكان وتجرب حظها في لندن، وكيف أنها انسلّت خفية، تقريباً، بعد ذلك عائدة اليه لتخفي قلبها المحطم. ولم تعد الآن صغيرة، كما كانت الفتاة ذات الثمانية عشر.

بعد أن التقت سارة بعمها وزوجته خارجين الى حفلة زفاف، ووعدتهما بالانتباه لأعمال الفندق في غيابهما، صعدت الى غرفتها. كانت الغرفة هادئة، ودخلتها وأدارت المفتاح لتقفلها جيداً خلفها. ها هي أخيراً قد حصلت على خلوة، الفرصة التي سعت اليها لتلعق جرحاً إعتبرت لمدة طويلة أنه التأم. وكان من الممكن أن يبقى هكذا لو أن المقابلة الأخيرة مع جورج لم تعد نكته.

لم تلاحظ سارة تماماً نصف التنهيدة التي صعدت الى حلقها، بينما كانت تخلع ثيابها لتغتسل، وتتركها مكومة دون ترتيب تحت قدميها، وهذا شيء لا تفعله عادة. وألقت بعض الصابون في الماء الساخن وهي ترتجف، قبل أن تكمل خلع ما تبقى من ملابسها. ولكنها تذكرت يداً أخرى الى جانب يدها كانت تقوم بالشيء نفسه.. ولكن هذه اليد لم تكن يداً رقيقة.

يده... وبتنهيدة خافتة، انزلقت تحت الماء الدافىء، غير قادرة على عمل أي شيء سوى أن تترك أفكارها الغريزية تحملها الى الماضي!

يومها، قال عمها رينيه بقلق:

ـ لا اعتقد أنها فكرة جيدة أن تذهبي الى لندن، كان من المقرر أن تعملي هنا، ولا أرى سبباً لتغيير فكرك، أعلم أنك فقدت والديك لتوك يا سارة، وهذا ما يزعجك دون شك، ولكن ألن يكونا سعيدين لمعرفتها أنك هنا معنا بأمان؟

كم هو محبب العم رينيه بإيمانه بالحياة الأخرى!

وشعرت سارة في تلك اللحظة بدموع التأثر تلسع عيناها، كان يشبه والدها بأشياء كثيرة، وزوجته لوريتا لطيفة أيضاً، ولم تكن تتمنى أن يكون لها أقارب الطف منهما، ولكنها لم يفهما لماذا شعرت بأنها يجب عليها أن تذهب. فكلما نظرت إلى عمها رينيه تذكرت والدها، وعندما يكون مع زوجته تتذكر والديها. وكان الأمر يتكرر، بحيث أن الالم لم يخف حتى بعد مرور عدة أسابيع. بعض الأحيان كانت تشعر بحاجتها لأن تكون على مقربة من شخص ما يحتضنها ويخفف آلامها، مع أنها كانت تشعر بالخجل من الفكرة، ولكن لا عمها ولا زوجته كانا من النوع العاطفي تماماً مثل والديها. وقد يحرجهما، كما كانت تعتقد، أن تسعى الى الدفء برمي ذراعيها والتعلق بهما. وكان من الأفضل للجميع أن تذهب بعيداً، ولو حتى الى حين تستطيع تجميع قواها. في لندن الكبيرة الصاخبة المزدحمة قد تجد النسيان.

وتنهدت السيدة لوريتا، وعيناها تتفحصان سارة.



ـ لو أنك أكثر وضوحاً يا صغيرتي... سأسمح لك بالذهاب يا طفلتي إذا وعدتيني بأن تأخذي معك ثياباً مناسبة، فقد يكون من الصعب عليك أن تتعودي على الحياة في مدينة كبيرة دون الاضطرار لتجنب قطعان من الشبان الطامعين!

وبدا هذا الكلام من سيدة حادة الذكاء سخيفاً، وتفهمت سارة مخاوف قريبتها، ولكنها شعرت أنها لا تستطيع الموافقة معها. فهي كانت حتى الآن تتهرب من أي علاقة رومنسية، ربما ذلك عائد الى شدة صرامة والدها النصف فرنسي. وسبب لها تصور ملاحقة الشبان لها ابتسامة خفيفة، وفكرة أن تكون التنورة الصوفية الطويلة التي سترتديها هي الرادع لهؤلاء الشبان عن ملاحقتها. وانقلبت الابتسامة الى ضحكة خافتة!

وسرعان ما انتبهت لنفسها، وفرض شعور الادب نفسه عليها.

ـ لا استطيع التفكير بأي شيء في مثل هذه الأوقات انه بالنسبة لي وقت للحزن. أنا أشعر بكل بساطة أنني يجب أن أذهب هذا كل ما في الأمر.

ـ حسناً، ربما تكونين على صواب.

وذكرت اسم رجل اعمال اعتاد النزول في مندقهم منذ عدة سنوات.

ـ جون مايلز... هل أنت متأكدة أنه قادر على تدبير وظيفة لك؟.

ـ نعم، له ابن عم يعمل رئيس حسابات في مؤسسة كبيرة، وقد وعدني بالوظيفة إذا نجحت في الاختبار، وجون لا يرى سبباً لفشلي.

ولم يبدو أن العم رينيه قد تأثر.

ـ يعطيك الوظيفة دون خبرة؟.

واجابته سارة بابتسامة.

ـ سأحصل على الخبرة! سأكون مبتدئة في مركز صغير، ولو عدت إلى هنا سأكون مفيدة لكم.

ـ أنت كذلك فعلاً، فقد نجحت في كلية التجارة يا سارة، ولا أظن أن أحداً يستطيع ايجاد عيب فيك.

ـ شكراً لك أيها الحبيب...

وابتسمت سارة وقد جعلها تقدير عمها لها تشعر بالخجل من شكها السابق بمشاعره.

ـ انني فقط أرغب في رؤية القليل من العالم.

وغلب على عمها رينيه لكنته الفرنسية من شدة تأثره وقال لها:

ـ افردي جناحيك الصغيرين يا «مدموازيل» مثل الفراشة، ولكن كوني حذرة «شيري» فالفراشات سريعات العطب.

ـ ولكنني لست فراشة يا عمي، كنت أتمنى أن أكون!.

وحزمت حقائبها وغادرت إلى لندن إلى المنزل التي ستمكث فيه إلى أن تجد غرفة تسكنها. وهذا ما لم تتمكن من تدبيره حتى النهاية، ليس لأن الغرف صعبة الوجود، بل لأن بقاءها في لندن كان اقصر مما توقعت.

«استروكاميكالز» أو «المشاريع» كما كانت تدعى غالباً، نسبة لتورطها في «المشاريع» كبيرة، تحتل بناءاً ضخماً، يتكون من الكثير من الطوابق والعديد من المكاتب.

عندما التقى بها ديكي غوردن يوماً وهي تقف في منتصف نوع من مفارق الطرق بين الممرات، كانت في الواقع ضائعة، لا تعرف أي اتجاه تذهب وسألها بلهجة كسولة.

ـ اتحتاجين لمساعدة؟.

واستدارت فزعة من سماع صوته، فالسجاد السميك اخفى صوت قدميه، ورأت أمامها رجلاً طويلاً أشقر الشعر، ربما في أواسط العشرين من عمره، وقد كسى الاهتمام وجهه الوسيم لدى لقاؤه عينا سارة الزرقاويتين.

ـ هل أنت ضائعة؟.



واجابت بنفس مقطوع.

ـ نعم... وأنت؟.

ـ لا... في الحقيقة...

ـ أوه... أعني أنني لم أقابلك من قبل!.

ـ أنا هنا في الأعالي بين الكبار.. أحاول أن أتعلم أن أكون واحداً منهم.

ـ أوه... يا مسكين.

وعادت إلى الابتسام. وهي تفكر بأنه أول شخص لم تشعر بالارتباك معه منذ أن وصلت هنا. ليس لأنها صدقت أنه ينتمي فعلاً إلى الطابق العلوي من المتنفذين، فقد بدا غير مبال كثيراً بهذا الأمر. قليل الأهتمام، إذا صح التعبير، بمشاكل العالم. وضحكت ضحكة قصيرة، على الرغم من أنها ليست فتاة تستسلم للعبث مع الغرباء، وخاصة الشبان ذوي الجاذبية. تذكر أنها كانت تضحك للريح، للغيوم المتسابقة، لأشياء كثيرة مثل الخيول وهي تقفز بحرية في الحقول، واذنابها تتطاير، ولكن، لم تضحك من قبل هكذا. ومع ذلك لم يكن هناك شيء مثير في حديثهما المتبادل، وكانا وكأنهما طفلان يلعبان، متغيبان بضع دقائق عن المدرسة. ولم تلاحظ سارة كيف برقت عيناه بالاهتمام، وهو يقول:

ـ اخبريني ما اسمك.

ـ هل هو أمر؟.. وابتسمت «أمر صادر من الكبار؟».

وتجهم وجهه متوعداً لدرجة اضحكتها من جديد.

ـ تستطيعين اعتباره هكذا..

ـ إذاً يبدو أنني مضطرة للخضوع... سارة شاو.. وما اسمك؟.

ـ الرعايا الأقل شأناً ليس من المفروض أن يسألوا!.

ولأنه بدا كطفل لطيف قالت:

ـ أرجوك...

ـ وهل أستطيع رفض أي طلب منك... ريتشارد غوردن، واصدقائي يدعونني «ديكي».

وتمتمت محاولة جاهدة أن تبدو رسمية.

ـ كيف حالك...

ـ اسمعي... هل عندك ما يشغلك هذا المساء؟.

تأثيره الفوري عليها كان وكأنه أخ. وبدا لها فجأة أنه قد يكون مهتماً بها أكثر من أخت! في الواقع كان ينظر إلى ما وراء بلوزتها البيضاء وتنورتها الكحلية! وبدا الأمر وكأنها قصة رومنسية قصيرة. وقرصت سارة نفسها خلسة لتتأكد من أنها لا تتخيل الأشياء. ولم تكن متأكدة أنها تريد أن تخرج مع ديكي غوردن. ودفعها هذا إلى بعض الغرور، وأعطاها شعوراً برفعة الشأن، لكونها تتحدث معه دون كلفة، ولكنها شعرت بشيء من الحذر منعها من المضي أكثر، ليس لأنه يبدو جذاباً ببذلته الأنيقة، فهو يملك أيضاً وجهاً جميلاً ودوداً.. ومع ذلك بقيت مترددة.

ـ لقد سألتك سؤالاً يا سارة الصغيرة:..

وابتسم ليضفي على نفسه نظرة جليلة أخرى، فأجابت بسرعة:

ـ آسفة... أعني.. لا، ليس لدي شيء يشغلني.

ـ سارة، هل تخرجين معي؟ لا شيء خاص، ولا لزوم للملابس الفاخرة، يجب أن نعرف بعضنا أكثر.

وبدا هذا معقولاً ولطيفاً، فهو يعمل حيث تعمل الأمر الذي قد يعني لها شيئاً، على الأقل قد يساعدها في التغلب على مخاوفها، كل القصص التي سمعتها عما حدث للفتيات غير الحذرات في المدن الكبيرة الفاسدة، ذهبت أدراج الرياح... ووافقت قائلة «نعم».

ـ عظيم، سأمر لاصطحبك عند نهاية الشارع... أين يكون هذا؟.

وأخبرته أين تسكن وزادت كلمة شكر.

ـ أراك فيما بعد يا فتاتي... ولكن هناك شيء...

ـ ما هو؟.



ـ ستبقين هذا الأمر سراً، أليس كذلك يا سارة؟ لا أستطيع تحمل «وشوشات» المكاتب فقد تصبح بعيدة عن الحقيقة، كما تعلمين، ولا أريد توريطك!.

ولاحقته سارة بنظراتها وهو يبتعد، وهي تحس ببعض الدوار، وغير متأكدة، قلبياً، من أن يكون تصرفها صائباً: هل كانت متهورة لقبول الدعوة من غريب؟ حتى ولو كان يعمل في المؤسسة نفسها؟ وهل من المعقول السماح لنفسها بعقد صداقة ونسيان كل الأعراف والتقاليد التي تربت عليها؟ ريتشارد غوردن يبدو لطيفاً، ولديها رغبة فجائية لأن تشارك شخصاً ما الضحك، فهل هذا خطأ؟.

وتساءلت فيما بعد عما إذا كان سيتراجع، فالمواعيد العرضية، تسقط في الغالب عرضياً. وقد يغير رأيه بسهولة. ووجدت نفسها مندهشة عندما شاهدته ينتظر عند نهاية الشارع.

ـ أنا سعيد لقدومك!.

وأجابته وهي تنزلق إلى جانبه في سيارته المكشوفة:.

ـ وأنا كذلك.

أجفلتها هذه الفخامة، فمهما يكن، من المؤكد أن وظيفته أفضل من وظيفتها بكثير ليتمكن من تحمل أعباء هذا المستوى الواضح!.

على الاجمال، وعلى الرغم من تحفظه، بدا مأخوذاً بها. ولم تنو سارة بحرص منها، أن تستعجل الأمور أو أن تترك بعض الاطراء يؤثر على رأسها، لقد أعجبها بالقدر نفسه الذي كان بعد ظهر هذا اليوم، ولكن هذا الاعجاب لم يكن بالقدر نفسه عندما فاجأها بعناق وهو يتمنى لها ليلة سعيدة، فقد أحست بالارتعاد، ولكنها ابتسمت ببساطة وتمنت له ليلة سعيدة.

خلال الاسابيع التي تلت، خرجت معه مرة بعد مرة، ولكن لم يجعلها ذلك تعرفه أكثر. ولكن، ولو أن علاقتهما محكوم عليها أن لا تتطور نحو شيء مميز، إلا أنها كانت تشعر بالارتياح. وفي بعض الاوقات كانت تنظر إليه بامعان.

وكمعظم الشبان في مركزها، كان أكثر عملها منصباً على البحث عن أوراق وحملها من مكان إلى مكان، وكانت تعمل بجد حتى وقت متأخر حتى أنها كانت تعتبر نفسها محظوظة عندما تحصل على فرصة للغذاء! ويوم الاربعاء لم يكن استثناءاً... وقبل بضع دقائق من الساعة الواحدة وصلت رسالة عاجلة من الادارة.

وصرخت الين غريغ، رئيسة السكرتاريا في القسم.

ـ انه عمل لك يا سارة. بعض المعلومات مطلوبة للمحاسبة. ويجب أن تأخذيها إلى فوق فوراً.

ـ فوراً؟.

ـ عندما ينتهي السيد تريفور من تجميعها.

ـ ولكن غذائي؟.

ـ العمل بالنسبة لعمرك امتياز يا عزيزتي. فلا تفسديه بالتفكير بالطعام!.

وجاهدت سارة لتحتفظ بتوازنها، منتظرة بصبر قدر المستطاع، هذه المرة لم تكن مستاءة من نوعية عملها، فربما تجد فرصة في الطابق العلوي تلقي بها نظرة على ريتشارد، ويجب أن تتذكر أنه يدعى اختصاراً «ديكي»! لم يكن قد أفصح لها عن القسم الذي يعمل فيه. وملأها الفضول بشكل لم يكن ليتملكها لو أنه لم يبق الامر سراً. وكانت متأكدة أن مراوغته هذه سببها اخراج سابق، ولكنها لم تستطع إلا أن تشعر بالاستياء قليلاً لأنه لم يثق بها.

واخيراً انتهى السيد تريفور من تجميع المعلومات المطلوبة، وسلمها لسارة، مع تعليماته لتحملها إلى فوق فوراً.

ـ احمليها لمكتب السيد فينويك، لو سمحت، لا إلى مكان آخر.

هل يظن الجميع أن من الطبيعي لفتاة في مثل سنها أن تكون غبية؟ وهزت سارة رأسها بنكد، بينما كانت تستقل المصعد إلى الطابق العلوي. السيد تريفور كان لطيفاً تماماً كما قال عنه جون مايلز، ولكنها



كانت تشك بأن لا هو ولا الآنسة غريغ، ينظران إليها كشخص حقيقي، وكأنهما لم يفهما أن المرء كي يقدر على ترك عائلته، وأن يعمل بعيداً عن منزله، يجب أن يكون راشداً بما فيه الكفاية.

لم تشعر بالكثير من الثقة بالنفس بينما هي تترك المصعد، وتمضي في طريقها إلى حيث تقصد، هنا الصمت مطبق ولا أثر «لديكي» بالتأكيد. ودقت على الباب الخارجي الذي كتب عليه «المدير الاداري» كانت تعرف أن سكرتيرة السيد فينويك تدعى الآنسة درو، ولكنها لم تجد لها أثراً فافترضت أنها ذهبت إلى الغذاء. إذاً ماذا ستفعل الآن؟ وكانت على وشك أن تضع الملف على طاولة الآنسة درو، عندما سمعت حركة تصدر عن المكتب الداخلي مما أنبأها أن هناك شخص ما في الداخل. ربما السيد فينويك نفسه، وقطبت سارة، هل تترك الملف على طاولة الآنسة درو على أمل أن يراه، أم هل يجب أن تدخله بنفسها؟ وبينما هي تفكر ما العمل، فتح الباب الذي كانت تحدق إليه، وخرج منه رجل.

ـ آه، وأخيراً! لماذا لم تدخليه فوراً يا فتاة، بدلاً من التردد هنا؟.

وشعرت سارة بيديها حارتين، وارتجفت بينما كانت تمرر له الملف وارتبكت ثانية عندما استدار فجأة ودخل عائداً إلى مكتبه. هل يتوقع منها أن تتبعه؟ وشعرت بأنها ساذجة أكثر من أي وقت مضى، ولم تعرف ماذا تفعل. القليل جداً من الفتيات في مثل عمرها يعرفن تماماً ماذا يفعلن إذا واجهن رجل مثل هذا، لم تتذكر سوى عينيه، فقد بدتا وكأنهما تنظران إلى أعماقها. ولم ترتح لأفكارها، وتبعته إلى الداخل، بحذر. وبعد أن جلس في مقعده وأخذ يراقبها، سارت نحوه ووضعت الملف أمامه.

وقالت له بعد أن خطت خطوة إلى الوراء:

ـ آسفة يا سيد فينويك. لقد طلب مني السيد تريفور أن أتأكد من وصول هذا الملف إلى جهته الصحيحة. وعندما لم أجد الآنسة درو لم أكن واثقة مما يجب أن أفعل.

ـ حقاً يا آنسة... مهما كان اسمك. هل يفترض أن يؤثر عليّ اعتذار لا قيمة له كهذا؟.

كانت عيناه تهزآن بها، وشعرت بنفسها ترتعش وهي تحدق في عمقهما الملتهب. ورمشت عيناها بسرعة، وقد أدركت أنه يشعر بانزعاج قد لا يكون له أي علاقة شخصية بتصرفها. ومع ذلك لم يمنعها هذا من الرد سريعاً دون تعقل فقالت بحرارة:

ـ لم يكن هذا اعتذاراً سيد فينويك، بل توضيح بسيط. فأنا لم أصعد إلى هنا من قبل لذلك لم أكن أعرف أنك ستكون هنا. ولكنك لا تستطيع لومي على هذا!.



# شتاء ثم صيف!

أخرج مارك فينويك نفساً عميقاً، وضاقت عيناه بحدة بينما كان ينظر الى الفتاة الشاحبة، المتحدية قليلاً، الواقفة أمامه، وقال بصوت ملىء بالتهكم الجاف:

ـ يبدو أنك لم تكوني في أي مكان من قبل، عجباً؟ أود أن أعرف من أين يأتون بأمثالك.

وحدقت به سيارة بحيرة، وقد سببت لها إهانته الواضحة عودة اللون الأحمر الى بشرتها. وتساءلت لماذا لم تذكر الآنسة درو أن البقاء دون طعام قد يكون له هذا الأثر المأساوي على أطباع الرجل. وجعلتها نظرته ترتجف، وظنت أن عيناه قد توفران لها جواباً. لقد كانتا رماديتان فاتحتان، تشابهان الثلج برودة. وقالت وهي تشعر بالدوار:

ـ سيد فينويك، أظن أن ملاحظتك هذه، غير منصفة.

ـ أوه هكذا تظنين؟

وانحنى الى الأمام حتى أنها استطاعت أن ترى الخطوط القاسية الواضحة لفكيه.

ـ ألم يقل لك أحد أن صغار من في المكاتب، ليسوا في وضع يقدرون فيه على التساؤل عن أي ملاحظة أعطيها؟

وكان هذا، لو أن لديها أي تعقل، كفيل بأن يجعلها تتراجع، بعد أن تعبر بطريقة مناسبة عن الندم. ولكن بدا وكأن شيئاً يلزمها بالبقاء حيث هي، أسيرة نظرته الباردة.

ـ أخشى أنني أجد من الصعوبة أن أتقبل شيئاً لا أوافق عليه.

ـ هكذا إذاً، نحن لسنا فقط جسورين بل وقحين أيضاً! ومع ذلك استطيع أن أقسم بأنك سيدة شابة ذات تربية جيدة. أخبريني آنسة... آنسة شاو، هل أنت ساذجة كما تبدين أم أنك تقصدين اجتذاب انتباهي؟

وحدقت سارة به، وقد اتسعت عيناها الزرقاوان وهي تشعر بشعور غريب يقارب الصدمة يتحرك فيها. وخفق قلبها بسرعة، حتى شعرت بضرورة رضع يدها عليه لتحميه، واصبحت عيناها الزرقاوان قاتمتين بغرابة. لقد شعرت بانشداد غريب بينها وبين هذا الرجل الذي يراقبها ببرود بدا لا علاقة له بمركزها الادنى أو بقلة الاحترام الظاهرة في ردها. لقد تعلمت بما فيه الكفاية لتدرك أن أي شيء يزعج رؤوس من هم في الإدارة، يميلون دوماً أن يلقوه على رأس موظفيهم. ومع ذلك، وبينما كل غريزة فيها تحذرها من أن السيد فينويك لم يكن صباحه جيداً، لم تستطع سوى أن تشعر ساخطة أن عليه أن يتخلص من نقمته عليها!

ـ لم تعتقد أن عليّ لفت انتباهك سيد فينويك؟

وبدأ يتفحصها عن كثب، وهو يشد على فمه وبدا أنه قد تخلى عن أية فكرة بأنه لم يكن منصفاً بحقها. واصبح من الواضح انه قرر أن النكرات الصغيرة أمثالها، يمثلن كبش الفداء المثالي، وبما أن يومه كان مزعجاً جداً فقد شعر بحاجته الى كبش فداء.

ـ لماذا يجب عليك جذب انتباهي؟ كيف لي أن أعرف الجواب؟ ما أعرفه أن البعض من أمثالك يرغبون في الاغماء عند قدمي. ذلك النهار فتاة مثلك ركضت ورائي وهي تحمل منديلاً لم يكن لي. فإذا شعرت برغبتي في تحدي مثل هذه النزعات فلماذا لا؟

ورمشت سارة عيناها، واصبح اللون في وجنتيها أكثر احمراراً. بما بدا لها وكأنه ذنب. فقد كانت مع تلك الفتاة عندما ركضت وراءه حاملة المنديل. كان يجب عليها أن تتذكره بسبب طوله وعرض كتفيه،



والقوة في ملامحه عندما استدار لينظر الى الفتاة وبهز رأسه، لم تدرك سارة يومها أنه رآها، ولكنها تعرف الآن أنه فعل، ولو من أطراف عينيه. معرفتها هذه الهبت ضغينتها وكأنما يتهمها صراحة بالتآمر بشيء هي بريئة منه، ومع ذلك فماذا تستطيع أن تقول؟ وكيف تستطيع الدفاع عن نفسها أو عن الفتاة المنكودة الحظ دون التسبب بازديادغضبه؟ أما بالنسبة للفتاة فقد حاولت أن تحتج لأجلها. فشبكت أصابعها المرتعدة وقالت بسرعة:

ـ أنا متأكدة أن الفتاة لم تعرف من أنت سيد فينويك، فالناس يتشابهون في الزحام.

ومرت لحظة من الصمت الحاد، بينما استمرت سارة بالارتجاف بشكل ظاهر. كيف تجرأت أن تلمح بأنه قد يشابه واحداً من الناس العاديين؟ ألم تكن تتحدى قدرها كي تشير الى هذا في وقت لا يجرؤ حتى اعتى أعدائه الانكار بأنه معروف في أي مكان! مارك فينويك معروف اينما ذهب في هذا العالم. ورفعت عينيها ثانية بنوع من الرعب الى وجهه، وبدا لها متغطرساً ومتحفظاً، بما يناسب مركزه.

وفجأة، وبعدما شعرت أن نهايتها قد دنت، وأمام دهشتها تبسم، بما يشبه التواءة جافة لشفتيه، ولكنها شعرت بالراحة فوراً.

ـ أظن أن الحديث سيخرج عن سيطرتنا عليه، آنسة شاو. وأنا متأكد أنك توافقين؟ ربما لو عرضت عليّ منديلاً سأتصرف بشكل آخر.

ـ لن أجرؤ على هذا أبداً.. بعد الآن.

وبطريقة ما، أجفلت لسماع نفسها ترد هكذا، وأجفلت أكثر عندما وجدت نفسها تبتسم له. حتى هذه اللحظة لم تدرك بأنه الى جانب صفاته العديدة قد يكون أيضاً يملك السحر الخطر. وأصبحت الآن تشعر بسحره بوضوح تام، وبرعدة سريعة شعرت بالتصلب ضد الفكرة، وكأنما تشكل نوعاً من التهديد المباشر لها.

وارتفع حاجباه، وتراجعت خطوة أخرى، وهي تتوقع تماماً طرداً رسمياً لها. ولكن الدهشة بدت في وجهها عندما سمعته يطلب منها أن تصب له القهوة قائلاً: «إذا كانت باردة اتصلي واطلبي غيرها» وعاد وجهه الى العبوس ثانية.

واسرعت الى إبريق القهوة ووجدته ساخناً. وصبت له فنجاناً، فاندلق بعض من القهوة على جوانب الفنجان، ولعنت بصمت تسرعها غير العادي، واعتذرت: «اسفة»، ولم تعرف إذا كانت ستعرض عليه السكر والحليب، فقد كانا قريبين له. ووضعت القهوة على الطاولة بقربه وامسكت بابريق الحليب، ولكنه أشار برأسه رافضاً. ووضع بنفسه ملعقتي سكر.

ـ أتحبين أن تتناولي فنجاناً؟ اليست هذه ساعة غدائك؟

وكادت سارة تقفز، لقد كانت منشغلة جداً بعملها حتى نسيت تماماً غدائها. لن يكون لديها الوقت لتذهب الآن. وحاولت اقناع نفسها: لا يهم، ولكنها لم تقدر أن تمنع عيناها من التطلع الى رزمة سندويشات اللحم اللذيذة.

ـ تفضلي..

وأوما ناحية الطعام بيده بينما كان ينهض ليفتح إحدى الخزانات ويجلب رزمه من الأكواب البلاستيكية، «لا أعلم من أين أتت هذه الأكواب هنا، ولكن ربما حان الوقت لاستخدامها. خذي. صبي لنفسك القهوة، بينما اتحقق من أن تريفور قد ارسل كل شيء طلبته».

ونظرت سارة الى الكوب في يدها. السندويشات لذيذة، أفضل من أي شيء تذوقته منذ قدومها الى هنا. ماذا سيظن الناس إذا استطاعوا رؤيتها الآن؟ قد يكون مارك فينويك لا يدرك ماذا يفعل! طبعاً هي لم تطلب أن تأكل سندويشاته، ولا تصرفاتها أوحت أنها تحب أن تفعل. واحد يكفي، ولن تقبل المزيد، حتى ولو رجاها.

ـ تفضلي آنسة شاو، كليها كلها. أتذكر عندما كنت في عمرك كنت دائماً أحس بالجوع. بالمناسبة، كم عمرك؟



ـ ثمانية عشر.

ورمت بحذرها الى الريح، وتناولت سندويشاً آخر، ولدهشتها ملأ لها الكوب بالقهوة ثانية.

وقفزت عن الكرسي الذي كانت تجلس عليه، وأصبحت على بعد ياردة من الباب، عندما جذبها صوته.

ـ آنسة شاو، أين أنت ذاهبة؟

وتيبست كتفاها الرقيقتان من لهجته الديكتاتورية، وتوقفت دون أن تستدير.

ـ لو أن الآنسة درو عادت ووجدتني هنا، سيكون عليّ التحسب ل... ل...

ـ تعنين سيكون عليك المحاسبة على مشاركتي غدائي؟ تعالي اجلسي، آنسة شاو لم أكن اعتقد أنك بهذا الغباء! حتى الآنسة درو ليست بالغباء الكافي لتتصور أنني ساسمح لك بالتجول هنا، وتأكلي دون إذن.

ـ أنا آسفة سيد فينويك، ولكن يجب أن أذهب. لا تريدني أن أتأخر على عملي.

ـ قلت لك اجلسي!

هذه المرة، كان أمراً، ولم يكن لديها خيار سوى أن تطيعه.

ووقف، وذهب الى احد الرفوف وصب لنفسه كأس شراب.

ـ أخبريني، آنسة شاو، أين تسكنين في لندن؟ أظنك واحدة من السلالة النادرة التي تحب السكن في منزل، إذ لا تبدين خبيرة بالحياة كفاية لان تسكني لوحدك.

وحدقت سارة به بسرعة، وقد ارتعدت قليلاً لأنه يسألها عن شيء شخصي كهذا.

ـ أعيش بعيدة عن المنزل، في نزل.

ـ إذاً أنا على خطأ. فلديك شيء من الاستقلال.

ـ في مثل حالتي، إنه شيء لا فخر فيه يا سيد فينويك. أنا من «كوفنتري» في أواسط انكلترة، ومن الصعب التنقل إلى عملي من هناك يومياً.

وتأملها لفترة طويلة وهي جالسة مرتبكة تحت نظراته، تتمنى لو أنه لا يتعالى عليها هكذا. جعلها تشعر أنها تافهة، وعاد إليها الارتياب ثانية انه كان يستخدمها فقط كنوع من التسلية. شيء ساقته له الأقدار لتسلية نفسه لدقائق قليلة. لم يكن عندها شك من الاشاعات التي سمعتها، بأنه معتاد على التلاعب بالنساء. علاقاته بالنساء كانت معروفة، ولكنه كان دائماً ينهيها قبل أن تصبح معقدة. كل هذا كان من الوشوشات الدائرة في المكاتب، وعلى الرغم من أن «ديكي» حذرها من هذه الوشوشات إلا أنه من الواضح أن هناك بعض الحقيقة فيها. وزاد خفقان قلب سارة ثانية، وشعرت بأطرافها تضعف وهي تسمح لنفسها بالتساؤل عما ستكون عليه الحال لو تورطت مع رجل مثل مارك فينويك.

وأجبرت ذهنها على التحول من التفكير بالاغواء الرومانسي الى أمور أكثر دنيوية... كيف تستطيع الهروب من هذا المكتب، والعودة الى مكتبها، كيف تفعل هذا بسرعة وهي لا تزال محتفظة بكرامتها. وانتبهت أن مارك فينويك كان يتحدث ثانية:

ـ لماذا غادرت بلدتك وأتيت إلى لندن؟ فحياة النزل ليست مغرية إلى هذا الحد.

ـ رغبت في التغيير.

ـ ووالداك؟

ـ والداي؟

ـ نعم، هل كانا يرغبان فعلاً في قدومك إلى هنا؟

ـ لم يكن عليَّ سؤالهما.

ـ ولماذا لا؟ ألم تستشيريهما على الأقل؟



ـ سيد فينويك، هل يجب عليك التوصل إلى النهاية المرّة؟ إذا كان كذلك، لم يعد لدي والدان، قتلا في حادثة.

ـ هكذا إذاً، أنا آسف.

وأحست سارة بالسعادة لأنه لم يتابع الموضوع. في الحقيقة لا يستطيع قول الكثير لأنهما ما زالا غريبين عن بعضهما لا أقل ولا أكثر.

ـ لا يمكن للنزل أن يكون المكان المرضيّ للسكن فيه. ماذا تجدين أمامك لتفعليه في الأمسيات؟ لا تستطيعين أن تعيشي حياة متحررة كثيراً، وأنت مقيدة بكل أنواع الأنظمة والقوانين.

ـ بالطبع لا...

ـ ولكن لديك أصدقاء تخرجين معهم؟

ـ كنت أخرج مع رجل واحد، ولكنني اعتبره أحد المعارف العرضيين.

ـ هذه هي الفكرة السائدة هذه الأيام اليس كذلك؟ ابقاء المعرفة سطحية. النساء يعتقدن أن بمقدورهن السيطرة على أكثر اللحظات المشبوبة بالعاطفة، ويملن إلى الصراخ وكأنما جريمة حدثت عندما تصل الأمور إلى أبعد من قدرتهن على السيطرة. ولا يعتقدن أنهن سيدفعن ثمن طيشهن بطريقة أو بأخرى. من هو هذا الصديق الغامض؟ أتعرفينه منذ زمن؟

ـ لا، لقد التقيت به منذ وقت قصير... أي...

ـ نعم؟ أرجوك تابعي...

وانقذها صوت خفيف من خارج المكتب، يعلن وصول شخص آخر وتنفست سارة الصعداء، وهي تقول «الآنسة درو» وقال مارك فينويك:

ـ ها أنت، الصلوات تستجاب أحياناً، تستطيعين النجاة الآن، بعد أن تتصل بي الآنسة درو لتذكرني باجتماع مجلس الإدارة بعد عشر دقائق. اذهبي يا سارة الصغيرة، قبل أن أغير رأيي.

ـ شكراً لك سيد فينويك على الغداء.

كانت سعيدة جداً لأنه لم يحاول تأخيرها أكثر. وبعجلة قفزت على قدميها واقفة، راقبها أثناء ذهابها بتعبير متلهف غير مستتر.

أملت أن لا يلاحظ أحد تأخرها، ولكن الآنسة غريغ لاحظته، وأجبرت سارة على الاعتراف بأن السيد فينويك أمرها بأن تنتظر بينما كان يراجع الأوراق التي جلبتها له.

ـ ألم يمرر صاحب السعادة أي تعليق؟

ـ أبداً، لا أعتقد حتى أنه لاحظ أنني موجودة.

طوال بعد ظهر ذلك اليوم عملت سارة بجهد كبير، ولم تدرك حتى ساعة متأخرة أن كل جهودها كانت من أجل نسيان الرجل الجالس في الطابق العلوي. هل من المؤكد أنها لن تفتن به كما هو حاصل مع نصف الموظفات هنا؟

ولأنها كانت مصممة على التوقف عن التفكير بمارك فينويك تطوعت لتعمل ساعة إضافية حتى تتعب نفسها. ولم تكتشف أنها أضاعت حقيبة يدها إلاّ بعد أن ارتدت معطفها، وأخذت تفتش عنها بسرعة ولم تجدها. وقبل أن تقلب كل شيء في المكتب لتبحث عنها توقفت مذعورة. لقد كانت معها عندما أخذت تلك الأوراق لمارك فينويك، ووضعتها على الأرض قرب الكرسي عندما طلب منها صب فنجان القهوة له، ثم دخلت الآنسة درو، وخرجت وهي مسرعة. إذاً لا تزال هناك. وتنفست الصعداء وجلست ولفت ذراعيها من حولها لتتوقف عن الإرتجاف. يا للسماء! ماذا فعلت... وماذا ستفعل الآن؟ ربما لم يلاحظ الحقيبة أحد لأنها سوداء مثل لون السجاد. وربما لم تدخل الآنسة درو الى المكتب ولا السيد فينويك كان قد غادره. ولو أنها دخلته، فقد تكون مشغولة جداً لتلاحظ حقيبة صغيرة مرمية تحت الكرسي.

عادة البناء يكون مهجوراً في مثل هذه الساعة. ولم يكن هناك أي شخص لتطلب منه النصيحة. وفكرت سارة بذعر، وهي تعض شفتها السفلى حتى كادت تدميها، ثم بدأت تحسب: ثلاثة دقائق للصعود،



وثلاثة دقائق لاستعادة حقيبتها، ثلاثة دقائق للنزول، لو كانت محظوظة، ربما عشر دقائق، هذا ليس بكثير، كعملية حسابية يبدو الأمر سهلاً، ولكنها شكت في أن يتطلب الأمر وقتاً أطول. لو أن عمال النظافة يعملون الآن لما سمحوا لها بالدخول، لا. وقررت سارة أن هناك فرصة واحدة، أملها الوحيد في أن تجد الآنسة درو ما زالت هناك، ربما تعمل الى وقت متأخر.

لسوء الحظ، عندما وصلت سارة إلى الطابق العلوي كانت الآنسة درو قد غادرت، وباب المكتب مفتوح. وبسرعة وهي تشعر أنها ترتكب جريمة مريعة، دخلت وتطلعت حولها. ولكنها لم تجد الحقيبة. يجب أن تكون في مكان ما! وشعرت بيديها تلتصقان من العرق، ونظرت إلى باب مكتب السيد فينويك. هل لا تزال الحقيبة هنا في الداخل؟ وتطلعت بصمت نحو الباب، محاولة اقناع نفسها بالدخول. لم يكن موجوداً، ولكن مجرد التفكير به أرعبها. وأخيراً، وقد ساءها ترددها الجبان، استجمعت ما يكفي من القوة لتفتح الباب، عندما دخلت، شهقت بصوت مرتفع لرؤيته جالساً وراء مكتبه ينظر إليها مباشرة. وتحولت العيون الرمادية إلى زرقاء وهي تحدق ببعضها البعض. عينا سارة مفتوحتان من الخوف، وعيناه ضاقتا لتستحوذا على عينيها وكأنهما حد السيف. وجعلتها "لصدمة دون حراك، وبدا للحظات من الزمن أن عيونهما متشابكة في معركة، وأن نوعاً من القوة الخفية تطوف بينهما لتتركها غير قادرة على الحراك.

وبجهد كبير، آلمها وكأنه الم جسدي، جذبت نظرها عن نظره، وجهها الصغير أصبح قانياً من الحرارة غير العادية والمرعبة المنبعثة من جسدها. لقد كانت حقيقة تتوقع أن لا يكون هناك. كم كانت غبية لأنها لم تتصل أولاً! لماذا لم تفكر بالاتصال؟ الأمر أسهل بكثير لو أنها اتصلت، ولما شعرت عندها بالرعدة في أعماقها بفعل قوة مجهولة تشك في قدرتها على تحملها.

ـ آنسة تشاو؟.

واستدارت نصف هاربة، كطيف نحيل مرتبك تماماً، وشعرها البني يلف كدوامة مثل غيمة تغطي وجهها، وقالت دون تفكير:

ـ أنا آسفة سيد فينويك، لم أعلم أنك هنا.

ـ هذا واضح. يبدو أنك اعتدت على هذا.

ـ او، لا، غير صحيح. أنا... أنها... أعتقد أنني نسيت حقيبتي هنا، ولا أستطيع العودة إلى المنزل دونها. فهي تحوي كل مالي.

ـ كل مالك.. آنسة تشاو؟.

وكرهت سارة سخريته، ولكن ليس لديها الخيار. فالوقوف هنا تحت رحمة نظرته الجافة المتقدة، يتطلب جهداً كبيراً.

ـ نعم سيد فينويك، كل ما أملك، حتى يوم الجمعة حيث اقبض مرتبي. لا أملك الكثير عادة في هذا الوقت من الشهر، فقط ما يكفيني لشراء الغذاء وأحياناً العشاء!.

ـ يا إلهي!.

وبقيت صامتة، لأنها لم تكن متأكدة من أن كلمته هذه تعبر عن الأسف أو عن الاشمئزاز. ووقفت تحدق به يائسة.

ـ الا يقدم لك النزل الطعام؟.

ـ بعضاً منه، كما تعلم فأنا اتأخر في عملي، ولكنني اتدبر أمري سيد فينويك،

واستمر بالتحديق بها، ومرة أخرى شعرت بالرعشة تجري في جسدها، وتمنت لو أنه ينظر إلى أي شيء آخر. عندما كانت طفلة تعلمت أن من قلة الأدب أن تحدق بشخص ما، ولكنه يبدو أن الأمر لا يهمه، ليس بالنسبة لها على أي حال. شعرت أنه يدرس كل قطعة منها، ولم تكن تشعر بالهدوء بينما كانت عيناه تتطلعان الى أماكن أكثر وضوحاً.

ـ هل أنت متأكدة أنك فقدت حقيبتك حقاً، أم مالك فقط؟.



ـ لماذا؟، كيف من الممكن أن أفقد مالي دون أن أفقد الحقيبة؟ هل تعتقد أنني أتيت إلى هنا عن قصد؟.

ـ وهل هذه المرة الأولى؟.

ـ أوه...

واستدارت على أعقابها بغضب، ونهض على قدميه ومد يده ليمسكها.

ـ لا تتسرعي يا آنسة شاو. أعترف أنني كنت متسرعاً، ولكن لدي من الأسباب ما يكفي ليتملكني الظن.

وحاولت سارة أن تفكر برد مناسب، ولكنها لم تجد. في داخلها كانت تشعر بتجمد، بحيث أنها لم تقدر على السماح لسخطها أن ينفجر. وكأنما استنتج ما يعتريها، ابتسم، وحدق بوجهها قائلاً:

ـ قبل أن تقولي أي شيء اضافي يا سارة، أقترح أن نبدأ التفتيش عن الحقيبة.

كان بالامكان ان يطردها بكل بساطة. وكانت يده لا تزال ممسكة بذراعها وكأنما قد نسي يده هناك.

ـ كنت جالسة هناك.

ـ أذكر ذلك.

والتفت ليتطلع إلى الكرسي متفحصاً، بينما جذبت ذراعها لتحررها مستفيدة من التهائه. وجعل الفزع وجهها يبدو مضحكاً وهي تلفت عينيها لتلتقي عينيه ثانية.

ـ ليست موجودة!.

ـ إذا لم تكن موجودة، فقد تكون الآنسة درو قد وضعتها في مكان ما. مثل هذا التفكير السليم كان له تأثير مهدىء عليها.

ـ أعتقد أن هذا ما حدث فعلاً.

وتبعته إلى المكتب الخارجي، ولكن طاولة الآنسة درو، للأسف، كانت مقفلة، ولم يكشف التفتيش في بعض الخزائن المفتوحة عن شيء. ولم تلاحظ سارة أنها كانت تقف خلف فارك فينويك مباشرة بينما هو

يدقق في كل زاوية وركن، وهي تتطلع بلهفة من فوق كتفه وهو يفتح كل باب، إلى أن التفت وشاهدها، وكاد أن يوقعها.

ـ الا تثقين بي أن أفتش جيداً يا سارة؟.

ومد يده ليمسك بها. وأصابعه هذه المرة بعيدة عن اللطف. وشعرت وهي قريبة منه بالرجفة. وعندما رفعت عينيها لتلاقي عيناه، كانت متأكدة أنها تغرق في بحر رمادي بارد.

ـ كانت أمي تقول ان الرجل لا يستطيع التفتيش جيداً.

ـ هذه الأفكار القديمة تزعجني. فلو أن النساء لم يكن مغرمات بترديدها، لكانت ماتت منذ زمن بعيد.

ـ آسفة...

ـ أتساءل: أخبريني آنسة تشاو، هل تتركين العنان لطبيعتك المضحكة هكذا دائماً.

ـ كان.. من المهم أن أجد حقيبتي.

ـ لم أكن أشير إلى حقيبتك السخيفة الصغيرة، آنسة تشاو. انني فقط أشير إلى مدى ما تسمحين به لتهورك أن يحملك. فقدت حقيبتك فتهرعين إلى هنا، دون مراعاة ظروف الآخرين!.

ـ أوه، ولكن.. لا تقدر أن تفهم ماذا يعني أن يفقد المرء ماله، يا سيد فينويك.

ـ ربما لا، فليس من المفروض أن أفهم. ولكن قد يعلمك هذا، أن لا تضعي كل ما تملكينه في حقيبة واحدة في المستقبل.

ـ أجل... أنا آسفة لأنني كنت سبباً لإزعاجك. وأعدك أن لا يحصل هذا ثانية.

وابتعدت عنه. تهم بالذهاب.

ـ انتظري لحظة!.

ووصل إلى الباب قبلها، ووقف في طريقها.

ـ إذا كنت لا تملكين مالاً، فليس لدي خيار سوى أن أوصلك إلى منزلك. ومن الأفضل أن أشتري لك شيئاً تأكليه.



ـ لا.!

ووقفت سارة متسمرة في مكانها بذهول. فكلماته الصحيحة أصابتها بالذهول، ولكنها كرهت طريقة تكبره. وبجهد استطاعت أن تمنع نفسها من اظهار رفض أكثر حدة. فربما لم يقصد أن يكون مستخفاً بها هكذا. وقالت مرة أخرى:

ـ لا... لا أستطيع أن أتركك تفعل هذا، وكما قلت سابقاً، أستطيع تدبير أموري.

ـ سارة! وفري علي عذاب الوقوف مستمعاً لثرثرتك. أقول لك انني لا أتصرف هكذا حباً بالخير. فأنا أشعر برغبتي في السخرية من النساء بشكل عام هذا المساء، وبامكاني أن أعكس شعوري عليك.

وخرج الكلام منه بارداً، وقاسياً. هل يمكن لامرأة أن تكون سبباً لمثل هذه السخرية، أم أن يومه كان سيئاً؟ وبدأت تقول «ما زلت لا أعتقد...» وجذبها بيدها بطريقة مذلة نحو المصعد، وأصابعه تشد على ذراعها لدرجة شعرت أنه بدأ يمارس عليها رغبته التي تكلم عنها منذ قليل.

ـ توقفي عن التلوي، وتوقفي عن الغمغمة والاحتجاج أيضاً.

كانت سيارته متوقفة في مكانها المخصص، وفتح لها الباب، ودعاها للدخول. واغلق الباب بهدوء، بحركات متمهلة، وكأنما خروجه مع موظفة شابة لتناول الطعام أمر عادي.

كانت الشوارع مظلمة، ولاحظت أنهما يشقان طريقهما نحو ناحية «وست إند». وتطلعت بفضول إلى الأضواء اللامعة التي يمران بها. وشعرت بالتوتر. وكانت على وشك الاحتجاج بأنها لم تكن ترتدي الثياب اللائقة. ولكنها تراجعت حتى لا تعطيه فرصة اعطاء ملاحظة قاسية أخرى.

وكما كانت تخشى، فالمطعم الذي أخذها إليه لم يكن مطعماً رخيصاً أو عادياً، وارتابت في أنه فعل هذا متعمداً. كان يشبه البهو الكبير، تظهر عليه الفخامة، وجدرانه مغطاة بالرسوم، ومفاعده مخملية سوداء

لامعة، وطاولاته من الستيل. اجمالاً كان جوه ممتازاً باناقته. ولاحظت السهولة التي استطاع بها مارك فينويك أن يجتذب الاهتمام إليه.

ـ أرجو أن يكون قد أعجبك، آنسة شاو؟.

ـ أوه... نعم. انه...

ـ ما تحاولين قوله أنك لم تدخلي مكاناً مثله من قبل، وأنك تجدينه مربكاً لك قليلاً.

ـ حسناً...

ـ سوف تعتادين قريباً على هذا النوع من الأشياء. فالفتيات مثلك لا يبقين بريئات إلى الأبد.

ـ سيد فينويك!.

ـ لا تقلقي يا سارة. انه ليس بالمكان الأنيق جداً، ولكن الشبان يحبسون أنفاسهم لرؤية هذه النوعية. لذا اعتقدت أنه المكان المناسب لتبدأي به.



## ٣ ـ لا تلعبي بالنار!

شعرت سارة ببعض الحرارة بسبب توترها، ففتحت زرين من أعلى بلوزتها، كاشفة الخطوط الدقيقة لرقبتها الهيفاء.

ـ بماذا نبدأ، سيد فينويك؟

ـ لقد عرفتك منذ ساعات قليلة يا سارة، ولكنني بدأت اتساءل ما إذا كنت فعلاً بريئة كما تبدين.

ـ قد تعرف الفتاة كل شيء، وتبقى بريئة. ولا يدعو هذا الموضوع للسخرية على كل الأحوال.

ـ ليس إذا كان حقيقياً. فهو أول موضوع يتساءل الرجل عنه حول الفتاة.

ـ لم أعلم أن الموضوع مهم هكذا.

ردت عليه بحدة وهي تشعر أن ليس من حقه السخرية من شيء تعتبره موضوعاً مقدساً. وليس لديه من عذر لأن يتكلم معها بهذه الطريقة ابداً، ومع ذلك لم تستطع انكار بعض الإثارة.

فقد جعلها مارك فينويك تحس بنفسها ـ أو به، وليست متأكدة ممن، كما أنها ليست متأكدة من أنها تستمتع بهذه الإثارة.

ـ اهدأي يا سارة، أنها فقط نوع من اللعب. بعض الاسئلة لا تحتاج لأن تكون مباشرة، وأن تجيبي عنها. على الأقل حتى نعرف بعضنا أكثر عندها تصبح هامة.

خلف كلماته الناعمة، بدا تهديد غامض، وكأنما هو يحذرها من أنها لن تستطيع التهرب منه على الدوام. وأنه قد يأتي يوم الحساب عندما يرضى بأقل من الحقيقة. واسرعت بصرف مثل هذا الانطباع متذكرة أنه من السخف التفكير بهذه الطريقة حول مارك فينويك الذي يعلو عنها درجات لكونه مدير الادارة، والذي لم تلتقه سوى منذ وقت قصير. وصداقتها لن تكون صداقة عادية ابداً.

ـ هل أنت مرتاحة للسكن في النزل يا سارة؟.

ـ ليس كثيراً، ولكنني أحاول أن أجد غرفة للسكن فيها.

ـ وهل تظنين أنها فكرة جيدة؟.

ـ حسناً، قد يجد المرء فيها حرية أكثر.

ـ حرية من أجل ماذا؟.

ـ أستطيع الخروج والعودة كما أشتهي.

ـ حتى تتمكني من اقامة علاقة مع ذلك الصديق الذي ذكرتيه قبلاً؟.

ـ قد لا يحب كل شخص مثل هذه الأشياء.

ـ العديد يحبونها، عاجلاً أم آجلاً.

ـ وهل تحبها أنت.؟

خرجت منها الكلمات قبل أن تتوقف لتفكر بمن تتحداه وشعرت بالدماء الحارة تندفع تحت بشرتها، وتمتمت بسرعة بأنها آسفة. وبدا أنه مسرور أكثر من الانزعاج أو الارتباك.

ـ أعتقد أنني راشد كفاية لأعرف ماذا أفعل.

وابتلعت سارة ريقها، وأجبرت نفسها على التركيز على طعامها ثانية. أو بأي شيء يبعدها عن التطلع إليه مباشرة. ومع ذلك، كان هناك شيء في عينيه يجذبها على الرغم من كل جهودها لابعاد نظرها عنه. وذعرت لأنها وجدت نفسها تفكر أن ليس من الخطيئة أن تنظر إلى عينيه إلى الأبد.



ـ الم ترغبي في اقامة علاقة مع رجل ابداً؟.

وضمت سارة يديها من تحت الطاولة لتحاول منع نفسها عن الارتجاف وأجابت:

ـ ليس بعد.

ـ يصبح الأمر أسهل بعد المرة الأولى أليس كذلك يا سارة؟.

وصمتت، أصابعها المضمومة معاً وحدها قد تعطي فكرة عما تشعر به، ولكنه لا يستطيع رؤيتها، فتابع قوله:

ـ اليس هناك جواب مناسب على هذا السؤال أيضاً يا سارة؟.

ـ جوابي الوحيد الممكن قد يعرض وظيفتي للخطر.

ـ أوه... وهل هو بهذا السوء؟ إذاً ما علي سوى القراءة بين السطور.

ـ ما من شك أنك خبير بهذا سيد فينويك.

ـ تبدين متزمتة يا سارة، وكذلك تبدين صغيرة. وهذا أمر متناقض تماماً.

وحدقت به وقد اتسعت عيناها، وتسارعت دقات قلبها وشعرت بالحرارة وبالدم يتصاعدان إلى وجنتيها. فقد جعلها مارك فينويك تشعر بالفضول حول أشياء لم تفكر بها من قبل. لقد كانا غريبين عن بعضهما، ومع ذلك فهناك شيء ملموس بينهما، شرارة من كهرباء خاصة تنبعث من عيناهما عندما تلتقي، تبعث على الخوف حتى وهي تدعو إلى المزيد من التعمق! مثل هذه الانطباعات أخذت تتقدم وانكمشت سارة محاولة الابتعاد عنها. ولكن صوتها كان متقطعاً عندما قالت:

ـ ليس عليّ الاعتراف بأي شيء مما تقوله، سيد فينويك. على كل الاحوال، عقلي دائماً ينتصر على الماديات.

ـ كم تبدين صغيرة السن! أتريدين المراهنة؟.

ـ لا فأنا لا أراهن.

ـ لا تراهني؟ من لا يريد أن يأخذ حتى هذا النوع من الرهان هو عادة غير واثق من نفسه.

وأخفضت سارة رأسها، فهي لا تريد أن تعترف بأنه قد يكون على مقربة من الحقيقة. فما زالت غير متأكدة ما إذا كان من الحكمة أن تسمح له بمرافقتها إلى هنا. ورفعت عيناها، وكان التعبير فيهما جدّي، حتى مد يده عبر الطاولة وأخذ يدها بلطف. فاجفلت من هذا الاتصال المفاجيء، ثم ارتاحت بينما كانت أصابعه تتحرك باقناع فوق بشرتها الناعمة الشاحبة.

ـ من المؤكد أنك واجهت أوقاتاً صعبة، مسكينة يا سارة. أين كنت تسكنين في «كوفنتري»؟ في غرفة مستأجرة؟

ـ لا، كنت أسكن مع عمي وزوجته.

ـ ولماذا غادرت؟ ألم يرغبابك؟.

حركة أصابعه كانت مليئة بالشفقة ولكنها أيضاً كانت تشل قدرتها على التفكير، ومع ذلك لم تفكر بسحب يدها منه.

ـ أنا... ليس الأمر كذلك. لقد شعرت فقط بطريقة ما أن عليّ النجاة.

ـ وهكذا قررت القدوم إلى لندن؟.

ـ تقريباً.

ـ كيف تحبين العمل في «استروكاميكالز» يا سارة؟

ـ أحب العمل كثيراً، شكراً لك.

ـ تبدين أكبر بعشر سنوات عندما تتكلمين بهذه الطريقة، ألم نساعدك على النمو قليلاً؟ ألم يسبب الكلام الذي أجبرت على سماعه في تقليص أوهامك الطفولية؟ ألم تسمعي أية أشاعات عني بعد؟ لا أظن أنني معفى من الاشاعات.

ـ أنا لا أستمع إلى كل شيء. أعني أنك مولع بأن يتحدث الناس عنك كثيراً وأنت ترى....

ـ نعم؟.

ـ بسبب مركزك كما تعلم.



ـ سألتك عما يقال، فأنا أعرف لماذا. أعتقد أن من المؤسف أنني غير متزوج، فهذا قد يضعني بعيداً عن مثل هذه الشكوك.

ـ هذا إذا أحببتها وكنت مخلصاً لها.

ـ يبدو أنك لا تصدقين بأن هذا ممكن؟.

وحاولت السيطرة على ضربات قلبها المتسارعة التي خافت من أن يشعر بها عبر أصبعه الذي يضعه على معصمها. فقالت بصوت أجش:

ـ قد تجد صعوبة في ايجاد زوجة تتناسب مع حياتك العملية.

ـ بكلمات أخرى، قد لا أجدها ملائمة؟.

ـ على الأرجح، لا.

ـ ربما أنت على صواب يا سارة، يجب أن أعترف أنني أجد العلاقات العرضية أقل اشكالاً، الا توافقين؟.

ـ لا يا سيد فينويك، لست موافقة.

ـ لماذا؟ أنت... أخشى أنني يجب أن أعيدك إلى النزل يا سارة، واترك مناقشتنا إلى ليلة أخرى. فأنت لا تريدين أن يقفل أبواب النزل عليك؟.

ـ أوه.. لا! لم ألاحظ ذلك.

ودهشت، عندما علمت أنها أمضيا ثلاث ساعات هنا، فوقفت. وكان قد ترك يدها فشعرت فجأة أنها معزولة. فابتسم وقال:

ـ ولا أنا أدركت، إذا أقفلوا الباب ولم تستطيعي الدخول، سيكون علي أن أقدم لك مكاناً للنوم اضافة إلى الطعام، وهذ لن يسرك أليس كذلك يا سارة؟.

بعد نصف ساعة أوصلها إلى باب النزل وقال لها وهو يضغط ورقة نقدية في يدها.

ـ من الأفضل أن تأخذي هذا. إلى أن يحل موعد القبض، أو حتى تجدي حقيبتك. لا لزوم لشكري، فبمقدورك أن تردي المبلغ.

في الصباح التالي، حاولت سارة استقراض المال لترده إليه في الحال

ولكنها لم تنجح. وكان لدى أحدى صديقاتها في الغرفة المجاورة انباءاً سارة، فقد وجدت شقة للسكن، وقالت لها:

ـ انها صغيرة، غرفة نوم وغرفة جلوس، ولكنها زهيدة الثمن.

هل تأتين لتشاهدينها؟

ـ نعم... نعم بالطبع.

ـ لا تبدو عليك الإثارة؟.

كانت سارة تشعر بالقلق الشديد حول حقيبتها ولم تقدر على التركيز على أي شيء آخر. فقالت معتذرة:

ـ أنا آسفة... سألقي نظرة عليها عندما أستطيع ذلك. سيكون من المريع مغادرة هذا المكان.

خلال ذلك الصباح بكامله وجدت سارة من المستحيل عليها أن ترتاح بسبب حقيبتها المفقودة، فلم يشاهدها أحد في المكتب الذي تعمل به. وكانت متخوفة جداً من انتشار الكلام حول اصطحاب السيد فينويك لها. وإذا سمعت الفتيات الأخريات أنها صعدت إلى مكتبه الليلة الماضية لتفتش عن حقيبتها فستسمع الكثير بعد ذلك. وبما أن الآنسة درو لم تتصل بها، بدا من غير المحتمل أن تكون تركتها هناك. في وقت الغداء اليوم ستدبر نفسها ببعض البسكويت تأكله في الحديقة. كان لا يزال معها الكثير من مبلغ العشرة جنيهات التي أعطاها إياها مارك فينويك ولكنها قررت أن لا تصرف منها أكثر من الحاجة الضرورية. وأحست بالمال وكأنه يحرق جيبها، وتمنت لو أنه لم يكن بهذا الكرم. وتشوقت إلى اليوم الذي سترد إليه المال بطريقة ما دون أن تراه ثانية، عندما تفكر به، وهذا كان يحدث غالباً، تشعر بالرعدة تجري في عروقها. فقررت أن أفضل شيء تفعله بعد أن تقبض راتبها، أن تترك له المبلغ مع الآنسة درو في مغلف مقفل.

وعادت إلى المكتب بسرعة، لعدم وجود الكثير لتأكله في فرصة الغداء، ووجدت أمامها وقتاً إضافياً لتصرفه في الجلوس والضجر على



طاولتها. وعندما رن جرس الهاتف شعرت بالسعادة لقطع الضجر عنها، وبما أنه لا يوجد غيرها هناك، التقطت الهاتف. ولدهشتها، كان المتكلم «ديكي»، كان يريد الخروج معها تلك الليلة ووجدت نفسها مرتاحة لإيجاد عذر لعدم الخروج.

ـ آسفة يا ديكي، فقد وعدت صديقة لي بالذهاب معها لتفحص شقة.

ـ أوه... يا للعنة.

ـ مرة أخرى، ربما.

بعد أن اقفل السماعة شعرت بالخجل، فقد كانت تعرف أنها تستمتع بصحبته، وتمنت بحرارة لو أنها لم تحس بأن مارك فينويك له علاقة مباشرة برفضها الخروج معه.

حوالي الخامسة مساء، وكان الجميع يستعدون للمغادرة، اتصلت بها الآنسة غريغ وابلغتها أنها مطلوبة في مكتب السيد فينويك.

ـ ماذا جرى في الدنيا لتكوني أنت، من بين كل الناس، مطلوبة هناك؟

ـ وكيف لي أن أعلم؟

ـ هل صعدت الى هناك قبلاً من أجل شيء ما؟

ـ لا طبعاً.

ودون أن تنظر إلى أحد، هرعت خارجة، وهي تتنفس الصعداء لانها لن تضطر إلى العودة الى هنا، فقد ارتدت معطفها، وبحلول يوم الغد سينسون الأمر.

لقد كانت مقتنعة أن هذا الاستدعاء لها يعني أن حقيبتها وجدت. ومع فقد حيرها حدوث الأمر آخر النهار.

بعد بضع دقائق كانت تقرع باب مارك فينويك، وكأنما كان ينتظرها بشكل خاص سمعته يطلب منها أن تدخل. ووجدته واقفاً قرب الطاولة. ولم تكن الآنسة درو موجودة.

ـ طلبت رؤيتي سيد فينويك؟

ـ نعم، أردت رؤيتك!

وانتظر حتى تقدمت منه، وعندما اقتربت كفاية قال لها ببرود:

ـ لقد وجدنا حقيبتك.

ـ آه، هذا جيد!

وابتسمت بسعادة، فقد ارتاحت لأنها أصبحت الآن قادرة على رد ماله. ودون انتظار، بدأت تبحث في جيوبها عن المال، وأخرجت تسعة جنيهات وبضع قطع صغيرة ووضعتها على الطاولة.

ـ أظنني صرفت... كنت اعتقد أن الحقيبة في مكان ما.

ـ تعنين أنك كنت تعرفين أنها هنا!

ـ أجل... أنا... أنا في الحقيقة لم اعتقد أنها في مكان آخر.

ـ وانني كنت أعرف أنها هنا.

ـ ولكن ... سيد فينويك...

وهزت رأسها، متسائلة إذا كان سيلاحظ أنها غير قادرة سوى على ذكر اسمه. ولو أنه فعل، فقد تجاهل الأمر.

ـ الليلة الماضية كان رد فعلك الظاهر على فقدان الحقيبة جعلني أشك في جنونك. لقد قلت انك بحثت في كل مكان، ومع ذلك وجدتها هذا الصباح تحت الكرسي الذي اقسمت أنك فتشت تحته! حيث يمكن لاعمى أن يجدها!

وتجمدت سارة بفعل موجات من الصدمة، ووقفت تحدق به. واصبح وجهها شاحباً، وشعرت بالبرد، وبقلبها يدق بسرعة. هل من الممكن انه يشك في أنها تعمدت التظاهر بأن الحقيبة غير موجودة! أو أنها قد خططت لهذا في سبيل الحصول على دعوة للعشاء؟

ـ يبدو أنك مقتنع بما تقول.

ـ أنا مقتنع تماماً.

ـ هكذا إذاً. لا استطيع فعل شيء سوى أن أؤكد لك انني فتشت



فعلاً تحت الكرسي. ولو أن الحقيبة كانت موجودة الليلة الماضية لكنت وجدتها.

ـ تستطيعين تهنئة نفسك لأنني وقعت في حبائل قصتك، لبرهة ما اعتقدتك بريئة صغيرة حلوة، ولكن الفتيات لم يعدن هكذا، أليس كذلك؟ لقد شعرت بالاسف لأجلك يا سارة، ولكنك لم تستفيدي من عطفي بالسرعة الكافية.

هذا لم يكن صحيحاً بالضبط، فما لم يقله لها أنه قد خرج معها لأجلها هي! كشخص يعبث به، إذا قدرت على أن تتذكر هذا! بالطبع رجل في مركزه لم يكن بحاجة لأن يكذب. ولو أنه وجد الحقيبة حيث قال انه وجدها، ولو أنها احتجت أكثر، وحسب ما لاحظت من مزاجه العكر، فقد تفقد وظيفتها بسهولة.

ـ أنا آسفة سيد فينويك. لقد فهمتني عكس ما أعني. آسفة على كل الازعاج الذي سببته لك.

ـ أنا لست معتاداً على من يستغلني آنسة شاو! أصغي للناس إذا اعتقدت أنهم يقولون الحقيقة، ولكنك لست سوى موظفة صغيرة طماعة.

ـ لا، أرجوك...!

ـ ماذا كان قصدك بالضبط يا سارة؟ بالتأكيد كنت تنظرين الى الأعلى كفاية!

ـ ألم تعتقد أنك خرجت عن عليائك معي؟

ـ لم أكن أفكر حتى بأمر كهذا! ولا حتى بما قد تحصلين عليه مني! يجب أن اعترف أنك أثرتي اهتمامي.

ـ لا أصدق أنك قد تهتم بفتاة مثلي. لا.. لا رومانسياً إذا كان هذا ما تعنيه؟

ـ بأية طريقة أخرى ممكن أن أكون مهتماً بك؟ ما كنت لاخرج معك لو أنك لا تملكين وجهاً جميلاً وشكلاً جذاباً، ولكن هذا يكفي آنسة شاو.

ـ أظن أنك خسيس!

ـ لماذا؟ ربما قد يكون لك عذر لو أنني طلبت منك شيئاً خسيساً، أم أن أملك خاب لأنني لم اطلب منك؟

وكان يمسك بكتفيها بقبضة حديدية، وعندما حاولت أن تكافح لتحرير نفسها أصبحت أصابعه تحفر أكثر في لحمها.

ـ لا أظن أنك تدرك ما تقوله أو تفعله!

ـ لا أفعل شيئاً لا تستحقينه.

واصبح وجهه القاسي بارداً من الغضب، وشعرت سارة أن قول المزيد قد يجعل الأمور تسوء أكثر. فليس سراً أنه عندما يغضب فلن تتمنى أن تتحمل لهيبه عليها. ونظرت اليه بصمت وكأنما تتحداه لقول أو فعل المزيد، ولم تنتبه أن تعبيرات وجهها تغيرت من الخوف الى التحدي، مما اغاظه أكثر.

وجذبها إليه قبل أن تتمكن من التراجع، وعانقها، وكان عناقاً قاسياً ومؤلماً، بشكل لا شك أنه كان يقصده. وكان من الممكن أن تشعر سارة بالرضى لو أنها لم تكن غاضبة. كان يريدها أن تتألم، لو أنهما كانا يعيشان منذ مئة سنة أو أكثر لرغب في أن يجلدها بالسوط اما في هذه الأيام فلا يستطيع التفكير بعقوبة أسوأ من توقيع العقوبة عليها بين ذراعيه. وأحست سارة بهذا عبر عقلها المصدوم والمشتت.

مارك، كان ينوي أن يكون انقضاضه عليها قصيراً، وفورياً فقط، وبشكل انتقامي فعال. ولكن عندما حاولت التخلص من بين ذراعيه، استدارت ذراعاه حول جسدها بقوة, وأبقاها قريبة مع شيء من الراحة لتقدر أن تتنفس بصعوبة. ولم تستطع الحراك لم تكن تدري، في حال توقفت عن محاولة التخلص إذا كانت ترغب في ذلك فعلاً. وشعرت وكأنها يجب أن يغمى عليها، أن تصرخ لغرابة واثارة عناقه، ولكنها لم تعد قادرة على المقاومة، كما يبدو. ولم يبدو لهذا العناق من نهاية، الطريقة التي يحتضنها بها، وتأثير شيء قاهر أكثر منه عقوبة، يحولها إلى



حالة العجز، وحتى إلى حالة الاستجابة. وفجأة ودون أن تتوقع أصبحت حرة.

وتركها فجأة، ليمسكها عندما أوشكت على السقوط. وبدت يداه وكأنهما يدا غريب عنها.

ـ قد يمنعك هذا من محاولة اللعب، الكبيرة عليك جداً. وقد يبعدك عن التعود على التلاعب قبل أن يصبح الأمر خطراً عليك.

وبدت برودته على سارة اسوأ من غضبه. قوة الشعور في داخلها كانت مشوشة، وقدرتها على السيطرة تزول. كانت تحب لو أنها تصرخ. أو أن تضرب بقوة، وجهه الساخر، ولكن قوتها تخلت عنها، ولم تقدر على شيء سوى أن تحدق به بذهول، وأنفاسها تتقطع في رئتيها. وسمعته يغمغم بشيء لم تفهمه، ولكن عندما عاود الكلام كان قد استرد أنفاسه:

ـ من الأفضل لك أن تأخذي حقيبتك وتذهبي من هنا!

وأعطاها الحقيبة، وتطلعت إليها وهي فاقدة الحس، وتساءلت كيف لمثل هذا الشيء الحقير أن يسبب كل هذه المشاكل. وحاولت بشجاعة أن تتطلع إليه مباشرة، ولكن نظراتها المرتجفة لم ترتفع أكثر من حافة ذقنه. وبسرعة، انتزعت حقيبتها، وهي لا تعي ما تفعل وقالت له «شكراً» ودون أن تنتظر سماع أي تعليق آخر استدارت وذهبت.

خلال الأسبوع التالي شعرت سارة بأنها نصف ميتة ومع أنها كانت تدرك أن مواجهتها مع مارك فينويك كان لها تأثير كبير على حالتها هذه إلا أنها استمرت في القول لنفسها أنها كانت غبية بأن تترك الأمر يؤثر عليها هكذا. لو أن هذا هو مثال لما يعامل النساء به فمن الأفضل أن تكون بغنى عنه!.

مر أكثر من أسبوع دون أن ترى ديكي غوردن، وشعرت بالخجل لأنها لم تفكر به كثيراً، حتى أنها قررت أن تخرج معه عندما يدعوها إلى ذلك. في الواقع ذكرها هو بأنها رفضت الخروج معه في المرة السابقة.

ولم تكن السهرة معه ناجحة، الأمر الذي لم يدهشها كثيراً بسبب قلة خروجها معه. وتذكرت أنهما كانا مشغولين غالباً بأفكارهما الخاصة، ولم يكن هناك أي انجذاب بينهما، أو هكذا بدا الأمر لسارة، مما دفعها للتفكير في سبب قبولها الخروج معه. وكان عليها أن تذكر نفسها أن كل شخص بحاجة إلى صديق. وكان ديكي قد أخبرها كم يشعر بالوحدة، وكانت تشعر هي أيضاً بالوحدة. وعلاقتهما لا يجب أن تكون بالضرورة رومانسية. تلك الأمسية شاهدا فيلماً كالعادة، وتناولا عشاء خفيفاً تحدثا خلاله عن أشياء عدة غير ذات أهمية. وقال لها انه سيتصل بها ثم ألقى عليها تحية المساء.

عندما علمت سارة أن مارك فينويك قد عاد من سفره أحست بقلبها يخفق. لقد تصورت أنها كانت تشعر أفضل عندما كان غائباً. وها قد بدأت تشعر بالقلق مرة أخرى. وحاولت اقناع نفسها بأنها لو كانت حذرة فلن ترى صورته. ومن الغباء الظن أنه قد يصرفها من العمل لأغلاطها السابقة. واضطربت في عملها، وارتكبت أخطاء جد عادية أزعجت الآنسة غريغ أكثر من الأخطاء الكبيرة. بعد ظهر هذا اليوم طبعت على الآلة الكاتبة كلمة «بنس» بدل «بوند» أي جنيه على احدى الفواتير، ومن الطبيعي أن تكون ملاحظات الآنسة غريغ مريرة، ولكن حدث الآن شيء آخر ليزعجها أكثر. وبينما الجميع يتحضر للخروج مساء قالت لها الآنسة غريغ عبر الهاتف:

ـ أنت مطلوبة في المكتب الرئيسي مرة أخرى آنسة سارة. لا أستطيع التفكير بما فعلتيه هذه المرة!.

ـ هل أنت متأكدة أنني مطلوبة؟

ـ ليس لدينا اثنتان من نوعك؟

لماذا يريد مارك فينويك أن يراها هذه المرة، إذا كان هو من يريد رؤيتها؟ ربما تكون سكرتيرته. هل ينوي صرفها من العمل؟ ربما لأنه تصرف بشكل غير ملائم خلال مجابهتها الماضية وهذا ما يزعجه. وقد تكون بالنسبة له كشوكة في اللحم إلى أن يتخلص منها. وشكراً



لغباوتها، فهي لا تملك أي دفاع، لقد اتهمها بكل الأشياء، ولكنها لا تزال تصر على القسم بأن حقيبتها لم تكن تحت الكرسي يوم فتشت عنها. وهي لو أنها أخطأت عبر اضطرابها وعجلتها، فلم يكن الأمر مقصوداً. لن تسامحه أبداً على الأشياء الفظيعة التي قالها. ومن الواضح أنه لم يكتف بما قاله وما فعله، لذلك سيعاقبها أكثر بصرفها فوراً.

وعندما وصلت إلى الطابق العلوي شعرت برعدة مألوفة في أطرافها، وبضربات قلبها تتصاعد. خارج باب مكتبه توقفت ومررت يدها المرتجفة لتمليس شعرها، ولتمسح بعض العرق عن جبينها. ثم قرعت الباب ودخلت، بعد أن دعتها الآنسة درو للدخول. وكانت الآنسة درو تهم بارتداء معطفها، وأدارت وجهها بأدب نحوها.

ـ ادخلي فوراً آنسة شاو. أعتقد أن السيد فينويك بانتظارك.

ولزمها جهداً كبيراً لتبتسم وتشكرها، ثم تفتح الباب الداخلي، وكأنما المقابلة مع مدير الإدارة أمر غير عادي، لها.

# ٤ ـ حيث ينتهي العالم!

كان مارك فينويك يتحدث بالهاتف عندما دخلت، وبينما كان يستمع إلى المتحدث معه أشار لها بيده لتجلس. وجلست بعجل، محترسة أن تتجنب الكرسي الذي جلست عليه في ذلك المساء. واحترست أيضاً، بعد نظرة سريعة أولى، أن تتجنب النظر إليه، وهي تجاهد لابقاء نظرها مركزاً إلى الأرض.

وتابع حديثه وعيناه على سارة طوال الوقت، وهي تجلس وبالكاد تجرؤ على التنفس. وسمعت الأنسة درو وهي تغادر. بعد ذلك ساد الصمت، ما عدا دقائق كانت تبدو الغرفة فيها وقد امتلأت بصوته العميق الرنان. وحاولت تركيز نظرها على السجادة، كانت السجادة ناعمة بنية غامقة، ولكنها وجدت نظرها ينسل نحوه، وكأنما بفعل المغناطيس. وتسارعت بنظراتها عندما وجدته يراقبها، وتدفقت حمرة الإحراج إلى وجنتيها. وتطلعت فوراً مبعدة نظرها عنه. متمنية لو أنها تكبر عن العادة المزعجة بالأحمرار مثل بنات المدارس. وخاصة وهي تقارب التاسعة عشر الآن.

ووضع سماعة الهاتف، ورأت يده تتحرك ببطء وكأنما هي آخر ارتباط له بالتعقل.

ـ حسناً، الا تستطيعين حتى تحمل النظر إليّ؟

ـ أنا... أنا لا أستطيع أن أجلس وأتطلع بك. كان من الأفضل لو انتظرت خارجاً حتى تنتهي من مكالمتك.



ـ هاه.. نعم. أعتقد أنك على صواب. ولكنك مع ذلك لم تجيبي على سؤالي مباشرة. لقد سألتك إذا كنت لم أعد أعجبك.

على أساس ما حدث سابقاً فكرت سارة أنه غير منصف. فمن المفروض أن يعرف أن المشاعر لا يمكن إدارتها هكذا سلباً أو إيجاباً مثل إدارة الآلة، فتصرفه بدا شاذاً أمام غموض السبب الذي أرسل في طلبها لأجله، من المؤكد أنه لم يرسل في طلبها ليعتذر عن الطريقة التي عاملها بها المرة الماضية! فرجل مثل مارك فينويك لا يشعر بالندم إلا إذا اقتنع تماماً أنه مخطىء. ونظرت إليه سارة، كلماته، تصرفاته تبدو وكأنها تشير إلى شيء قد حدث.

ـ أنسي الأمر. أنا مندهش من نفسي لأن أسأل سؤالاً بهذا الغباء.

ـ من أجل ماذا كنت تريد رؤيتي؟

ـ وليس هذا النوع من السؤال يجب أن تسأليه. من المفروض أن تجلسي هناك وتنتظري حتى أتحدث أنا. من المؤكد أن فتاة بمثل مركزك يجب أن لا تأخذ هي المبادرة بالكلام. وبعد لحظة صمت راقب خلالها ارتباكها والحرج الذي وجدت نفسها فيه، تابع قائلاً:

ـ سألتني لماذا طلبت رؤيتك. من المؤكد أنك خمنت أن الأمر يتعلق بحقيبتك التي لا تزالين تحملينها وتتمسكين بها. قبل كل شيء أود أن أقول انني غير مسرور من اضاعة الوقت هكذا، وبانني لم يكن يجب أن أتورط بالأمر شخصياً! تقديمي القهوة لك كانت غلطتي الأولى، وتقديم وجبة طعام كانت التالية. والقفز إلى الاستنتاجات الخاطئة كانت الثالثة. وهناك شيء يقول لي ان هذه، رابع مقابلاتنا، قد تنقلب لتكون أكبر غلطة على الاطلاق.

ـ سيد فينويك...؟

ـ يبدو أنني مدين لك بالاعتذار يا آنسة شاو، لو كنت تحبين سماعي!.

ووقفت في صمت غير قادرة على تصديق أذنيها. وانحنى إلى الأمام وتابع.

ـ أجل، لقد اعترفت الآنسة درو أنها وجدت الحقيبة ووضعتها في مأمن.

ـ هكذا إذاً...؟!.

ـ لا تقاطعيني يا سارة! كما تذكرين كان عندي اجتماع بعد ظهر ذلك اليوم. والآنسة درو، كما أخشى، لم تكن تعتقد أنك ستتجاوزين باب المكتب، وعندما اكتشفت الحقيبة لم تنسبها لك. فوضعتها في مأمن، ولهذا لم نجدها. في الصباح التالي قررت سكرتيرتي المثالية أن الحقيبة لصديقة لي، وبما أنني لم أذكر لها قدوم إحداهن إلى مكتبي، استنتجت أنني لا أريدها أن تعلم بها، لذلك أعادتها بطريقة سرية ووضعتها تحت الكرسي حيث وجدتها. لذلك كان أول شيء وقع نظري عليه عندما دخلت المكتب هو الحقيبة، فاستغربت كيف لم تجديها مع قولك انك بحثت عنها تحت الكرسي نفسه.

وقبل أن ينتهي من كلامه شعرت سارة بالدوار مع نوع من التوتر العصبي. وعندما انتهى حدقت عيناها باتساع في وجهه الفولاذي.

ـ إذاً... لهذا اعتقدت...

ـ تماماً. أنا أقدّر لك وضعك الآن يا سارة، فأنت لا تعلمين إن كنت ستنشرحي للأمر أو أن تطلقي العنان لغضبك!.

ـ حبذا لو تدعني لأكون رأيي بنفسي.

قالت هذا بحرارة، وأخذت نفساً عميقاً وقالت:

ـ لا يبدو لي أن الآنسة درو قد فعلت هذا؛ أعني أنها لا تبدو من ذلك النوع من الأشخاص الذين يذهبون إلى هذا البعد السخيف؟.

ـ هذا يبرهن أن حتى الآنسة درو في هذا العالم قد ترتكب أخطاءاً.

ـ وكيف اكتشفت كل هذا؟

ـ لقد اكتشفت الأمر عندما كنت في روما وبصحبتي الآنسة درو، فعندما لم أذكر أمر الحقيبة، وبعد أن احتست كثيراً من الشراب في احدى الحفلات تكلمت بكل شيء ولم أكن مسروراً بما قالته لعدة أسباب.



هل كان أحد هذه الأسباب أنه ندم لغضبه عليها؟.

ـ لم يكن الأمر مسلياً.

ـ أفترض ذلك.

ـ سارة...

ـ أرجوا أن لا تكون أرعبت الآنسة درو؛ فأنت تخيف الناس بعض الأحيان.

ـ أنا لا أقصد ذلك... حسناً... ليس دائماً. انه جزء من مظاهر الإدارة. بعض القسوة تعطي الهيبة، فقليل من الهيبة ينجح أحياناً عندما يفشل غيره. والآنسة درو تفهمني جيداً لأنها تخاف مني فعلاً.

دون شك يستخدم هذا «التكتيك» على كل النساء بنجاح. وبكل انصاف أقرت بأنه ما كان حيث هو الآن إذا لم يستخدم أسلوبه ويعرف تماماً الوسائل الصحيحة.

ـ سارة...

ونهض واستدار حول الطاولة ليقف بجانبها. وأمسك بيدها وجذبها لتقف.

ـ ما حدث لم يكن غلطة مني بالكامل، ولكنني أعتذر وأرجو أن تسامحيني.

ـ أجل.. طبعاً يا سيد فينويك.

ـ ألا تستطيعين قول شيء أفضل يا سارة؟.

وبدأ اللون يأتي ويذهب من وجه سارة بينما كانت تنظر إليه بارتباك وحاولت تخليص يديها من يديه. وكان لديها شعور أنه يكره أن ينكر عليه شيء حتى الغفران من موظفة بسيطة. وحاولت أن تهدىء نفسها، ولكن لم يكن الأمر سهلاً، ربما بسبب قربه الشديد منها وتصميمه الظاهر على الامساك بيديها.

ـ لا أعلم ماذا تتوقع مني أن أقول. أجد صعوبة في تصديق أنك قد صدقتني أخيراً.

وقال بثقة وبرود:

ـ لا أستطيع أن أقول بصدق انني نادم على ما حدث.

وأدهشتها جرأته المتغطرسة. ومع ذلك شعرت بنفسها تلين، وأعطته الانطباع بأنها مطواعة.

ـ لا أعتقد أنك بحاجة لأن تقول أكثر سيد فينويك، فأنا أفهم كل شيء، بعد أن شرحت لي، في الحقيقة ليس من الضرورة أن تزعج نفسك أكثر. في الأسبوع الماضي فقدت أعصابك معي، ولكن هذا أيضاً أستطيع أن أفهمه، فأنا أعرف أي نوع من الحياة المليئة بالمشاغل تعيشها.

ـ سارة! أريد منك أن تنسي كل شيء وأعدك أن تتناولي العشاء معي في احدى الأمسيات. في ليلة ملائمة بعيداً عن هذا الوقت. لا دعوة على عجل ومسروقة تقريباً.

ـ أقبل اعتذارك سيد فينويك، وليس من الضرورة أن تدعوني إلى العشاء.

ـ ولكن يجب أن تثبتي أنك غفرت لي.

ـ لا يمكن أنك ترغب في قضاء أمسية أخرى مملة، بالتأكيد؟.

ـ آنسة شاو! هل تجعلين من نفسك ساعية وراء الاطراء؟ أنا أرفض أن أقول ما إذا كنت ضجرت أم لا. أعرف فقط أن لدي رغبة في إعادة المناسبة. وأفضل أن تقولي نعم أو لا مباشرة. كما أرفض اعطاءك وقتاً للتفكير!.

كم أحبت أن يكون لديها الشجاعة الكافية لترفض مثل هذا التصميم الجاف. وكأنما كان يعرض عليها شيئاً لا تستطيع مقاومته، على الرغم من أنها لا تعرف ما هو. فهمست:

ـ نعم.. سأخرج معك. وخاصة وأنك تجعل الأمر يبدو وكأنه أوامر. وآمل يا سيد فينويك أن تكون مسروراً!.

ـ حاولي أن تسعديني وسأغفر لك تلك الملاحظة التهكمية. الا زلت تعيشين في ذلك النزل؟.



ـ أجل.

ـ هذا جيد، يمكنك الذهاب الآن يا آنسة تشاو، حتى أكمل بعض العمل. سأمر لآخذك غداً عند الساعة السابعة مساء ولا تجعليني انتظر.

عندما تتذكر سارة السرعة التي انزلقت فيها إلى صداقة سهلة مع مارك فينويك كانت تتعجب. لم يكن الأمر سهلاً كثيراً، ولكنها على الأقل لم تعد تشعر بالاضطراب منه بعد الآن. وكانت الليلة التالية الأولى من عدة مناسبات عندما أخذها إلى مكان ما لتناول العشاء. في البداية، ولادراكها أنه لم يتركها تذهب إلا بعد أن تدبر أمر لقاء آخر معها، حاولت التخلص من تعليقات أخرى، ولكنه لم يعلق.

ـ هل تفضلين أن أتصل بالآنسة غريغ وأطلب التحدث معك أثناء أوقات الدوام؟ ولكنني أشك في أنها قد تتركك مرتاحة.

كان من الممكن ان تبتسم سارة لهذا التعليق على شخصية الآنسة غريغ المسكينة لولا أنها شعرت بالقلق من ملاحظته. فقد كانت دائماً تخاف من امكانية أن يكتشف القسم الذي تعمل به يوماً ما، ما يجري وما قد يسببه هذا من كلام. فلو أنهم ارتابوا بأنها كانت تخرج مع مارك فينويك بانتظام، فستصبح حياتها تعيسة! ولم يكن لديها أدنى فكرة لماذا يرغب مارك أن يخرج معها بانتظام. كان يبدو أنه يتمتع برفقتها، ولكن هذا لا يمنعه من تقديم تفسير واكتشفت سارة أنها بدأت تعتاد عليه. بعض الأحيان عندما يكونان معاً ويتحدثان كان يدور حديثهما حول لا شيء، ووجدته في أحسن مزاجه من السهل التحدث معه. وبطريقة ما لم يكن مثل الرجال، الصغار والكبار، الذين حذرها والدها منهم. ولم يسألها مارك ابداً عن حياتها قبل قدومها إلى لندن. لم يعرف عنها سوى ما قالته له في أول مرة خرجت معه. ولو أن هذا صدم سارة لأنه أمر غريب، فقد خدمها كتحذير بأنه لا ينوي بأية طريقة أن يكون لعلاقتهما استمرارية. وكان من الواضح تماماً أنها كانت له نوعاً من التجديد كان يتوقع يوماً أن يجربه. وكانت سارة يعجبها كثيراً أن تتناول العشاء في منزل مارك، لأن كل ما كان يقول لها، بعدما اعترفت له بهذا، إن من

في عمرها يجب أن يكون مقدراً أكثر لأمسية نشطة. ولأنه لم يكن أبداً مهتماً لسؤالها عن علاقاتها السابقة، فقد شعرت أنها لا تستطيع أن تسأله كثيراً عن علاقاته. بعد تناول الطعام في منزله، وعندما تذهب مدبرة منزله لترتاح في جناحها. كان يدير بعض التسجيلات، ويشربان القهوة معاً بينما يستمعان إلى الموسيقى لساعة أو ساعتين. وعلى الرغم من بقاء مارك بعيداً عنها، فقد بدا أنه يتمتع بصحبتها، ولا تستطيع هي أن تنكر تمتعها بصحبته. ولم يحاول أبداً مغازلتها على الرغم من توفر الفرص له. كانت تفكر بعض الأحيان أن صحبتها أصبحت عادة له، وشخص يحب كثيراً أن تكون موجودة من حوله.

كانت لا تزال تقابل ديكي، ولكن بشكل متقطع، على الرغم من أنه حاول أن ينشيء معها علاقة أكثر وضوحاً ودواماً. ولكن سارة وقد ملأ رأسها، وربما قلبها، مارك لم تشاركه رغباته وهكذا تدريجياً توقفت لقاءاتها، وتتناول القهوة معه من وقت إلى آخر، ولكن هذا اللقاء كان غير مهم لها، فلم تذكره أمام مارك.

في إحدى الأمسيات فاجأها مارك بسؤالها عما إذا كانت ترغب في زيارة بيته الريفي معه في نهاية الأسبوع.

ـ أملك بيتاً صغيراً أعتقد أنه سيعجبك. انه في أعماق الريف ولا أذهب غالباً إلى هناك، ولكن بعض الجيران الكرماء يرعون أموره. أحب أن تشاهديه يا سارة. أشعر بأنك في أعماق قلبك فتاة ريفية.

ـ أحب ذلك. هذا إذا استطعنا الذهاب والعودة في يوم واحد؟.

ـ آه، سارة!.

وضحك وضمها إليه قائلاً أنه لم ينس أنها من الطراز القديم. وحضرت نفسها بسعادة لهذه الرحلة وهي تفكر إلى أي مدى تقدمت علاقتها بمارك منذ أول لقاء بينهما. وهي الآن لا تتصور الحياة من دونه. ومع أنها تعرف أن التفكير هكذا أمر خطر إلا أنها لم تستطع منع نفسها من التفكير. واللقاء معه بانتظام بدا أنه غيرها تماماً حتى أنها شعرت أحياناً أنها لا تعرف نفسها. أحياناً كانت تشعر أنها أصبحت مختلفة



بحيث انها أعتقدت أن ذلك قد انعكس عليها في مظهرها الخارجي.

وأقبل صباح يوم السبت، والساعة تقريباً العاشرة، وكانت تنتظر قدوم مارك ليأخذها. وكان الثلج يتساقط فوق المدينة والطقس بارد، ولكنها لم تلاحظ برودة الطقس لأنها كانت ترتدي معطفها الصوفي الأبيض الذي لم ترتده من قبل. ووصل مارك، ونظر باعجاب إلى صورتها الجذابة وهي تقف على الرصيف الأبيض المليء بالثلج، ورذاذ الثلج عالق على أهداب عينيها الطويلة الداكنة. والقى عليها تحية الصباح وخرج من سيارته الضخمة الفخمة ليضع حقيبتها الصغيرة في السيارة.

بينما كانا يغادران لندن أعلمها أن بيته الريفي يقع في «هامبشير» لذا فأمامهما طريق طويل ليصلا. وقد يصلان وقت الغذاء، الذي أمل أن تكون حاضرة لطهوه بنفسها.

ـ لقد أحضرت بعض المؤنة، ونستطيع شراء ما ينقصنا من هناك.

ـ أنا لست طباخة ماهرة يا مارك، ولكن سأبذل جهدي.

ـ من الأفضل أن تفعلي! سأكون غاضباً جداً إذا كان الشيء الوحيد الذي سأحصل عليه في نهاية هذا الأسبوع نوبة من سوء الهضم!.

وضحكت سارة، مع أنها شعرت بالتوتر. فهي لا تريد إفساد يومها بالتفكير بالانطباع الذي ساورها بأنه ينوي أن يطول نهاية الأسبوع هذا. ولم تكن تعرف الطريق من قبل وسرعان ما بدأت تتعب وخاصة عندما اقتربا من وجهتهما وحيرتها شبكة الطرقات الضيقة. وبدأ مارك باقناعها أنه يعرف أين هما، أكثر منها. وعندما وصلا إلى البيت كان يضحك بينما كانت هي تتذمر.

ـ إذا أراد المرء العزلة، لا يستطيع الحصول على كل شيء. أحياناً يا سارة كان هذا المكان ينقذني من الجنون. كان ملاذاً لي، مكان أنعزل فيه. ولا أريد أن أخسره بشبكات الحضارة، ولا حتى بطريق جديدة.

ولم تقلق سارة، فما قاله أدهشها، وبشكل ما فكرت بأنه أقوى من الضعف البشري، ولكن الآن وهي تشعر بأنه مرتاح أدركت أن حياته لم

تكن من دون إجهاد. وابتسمت برقة، وتركته يتكلم دون أن تقول شيئاً.

وأحبت البيت الريفي بمجرد أن وقع نظرها عليه. كان يقع على مسافة إلى الداخل من الطريق على مرتفع بسيط. وحوله أشجار السرو وسقفه على شكل هرم، وبدا تماماً وكأنه مرسوم على بطاقة الميلاد.

ـ أجل.. إنه جميل!.

ـ لقد قلت انه سيعجبك، ولكنني لم أتوقع مثل هذا الاعجاب. سأكتب ملاحظة أمامي: أشتري بيتاً مثله لسارة كهدية ميلاد، لأنها تحبه.

ـ كم أنت مجنون! على كل، لقد مر عيد ميلادي.

ـ متى؟

ـ منذ اسبوعين تقريباً.

ـ هل حصلت على هدايا؟

ـ ولا واحدة، وصلتني فقط بطاقة من زوجة عمّي.

ـ آه... حسناً، قد يعلمك هذا أن لا تخفي عيد ميلادك في المستقبل، كان بامكانك همس كلمة صغيرة في أذني، ولكن ربما لم يفت الوقت بعد، لأفعل شيئاً.

واستدارت سارة نحو الباب وهي تتنهد. من الطريقة التي تحدث بها مارك عن البيت، توقعت أن يكون متداعياً وعادياً، وأذهلها أن تجده بهذه الحالة، في الداخل كان مظلماً قليلاً بسبب صغر النوافذ. ولكن الكهرباء كانت ممدودة إليه وأخبرها مارك أنه أوصلها بتكلفة عالية.

وقبل أن تبدأ بتحضير الغذاء، جال بها في المكان، حجرة الجلوس كانت متوسطة الحجم. ومع ذلك لاحظت سارة أن المقاعد الوثيرة كانت غالية الثمن، والمفروشات الأخرى من طراز عتيق حقيقي. والأرض مغطاة بسجادة حمراء سميكة، وهناك مدفأة ترتفع فيها جذوع الأشجار المقطعة وانحنى مارك ووضع عود ثقاب فيها، وراقبت اللهب الأصفر وهو ينتقل بين الحطب الجاف.



ـ لا توجد تدفئة مركزية هنا، هناك أجهزة للتدفئة في القاعة والغرف ولكنني أحب أن أعتمد على النار هنا. أعتقد أنها تضفي شيئاً على الجو.

ولم يكن هناك غرفة طعام منفصلة، ولكن المطبخ كان كبيراً وفيه طاولة في الوسط كبيرة كفاية لتناول الوجبات العادية. في الطابق العلوي هناك غرفة نوم واحدة، تحتوي على سرير مزدوج كبير.

ـ أحب الراحة، كما تلاحظين.

ـ كنت أنظر إلى شكل القوائم فيه.

قالت هذا بسرعة، آملة أن تصحح الانطباع لديه بأنها كانت مهتمة بالسرير. وكانت قوائم السرير جذابة فعلاً، قديمة ولها عقد من نوع لا عمر له، ودهان كالح يتحدى السنوات، يجثم فوق حدود دفتي النوافذ المنخفضة، وبدا وكأن الزمن قد أعاد سارة إلى زمن آخر. ما قاله مارك حول السرير أزعجها، لماذا، ليست متأكدة، ولكنه دفعها لأن تقول ملاحظة أخرى.

ـ ليس عندك سوى غرفة نوم واحدة؟

ـ أجل. البيت هنا ليس للترفيه قطعاً. أتعلمين، أنك أول زائر أدعوه هنا؟

ماذا يعني بهذا القول؟ وحاولت اجتياز مارك ولكنها تعثرت وأوشكت على الوقوع. فأمسك بها، ورفع كامل ثقل جسدها، وعيناه تلمعان، فقالت بقساوة:

ـ أنا آسفة!

وحاولت تخليص نفسها من ذراعيه المطبقتين عليها.

ـ لم أفعل هذا عن قصد.

ـ آه يا سارة، أعلم ذلك، ولكن أحياناً أتمنى لو أنك تفعلين ألم تتعمدي أبداً ايقاع رجل في شراكك يا سارة؟ الرجل لا يشعر بالذنب إذا فعل.

ـ آسفة.

ـ سامحيني يا سارة، أعتقد أني بالغت باللامبالاة. على كل لا أجرؤ الآن أن أسألك عن رأيك بسريري!

ـ ليس لدي الوقت الكافي لأكون رأياً، فإما أعطاءك الرأي وإما الغداء.

ـ ما هذا الخيار تواجهين به الرجل! أتعتقدين فعلاً أنني لا أعرف ماذا أختار؟

وضحكت، واستدارت لتتخلص منه. وهي مرتاحة بأنه لم يستطع الاحساس بكيفية خفقان قلبها بنوع مجهول من الإثارة، لقد جعل مارك الأمر يبدو كلعبة، ولكنها شعرت بخيط من الجدية يكمن تحت هذا العبث. وأسرعت بهبوط السلم، وهي لا تشعر بالارتياح للضحكة الخفيفة الساخرة التي تبعت خطواتها الهاربة.

وحضرت الطعام، في الوقت الذي كان فيه يدخل حقيبتها ويحضر المزيد من الوقود للمدفأة. ثم ربط مريلة كبيرة على وسطه وبدأ بتحضير الطاولة.

ـ ما كنت تعلمين بأنني أحب الجو العائلي، آنسة تشاو؟

وتظاهرت بأنها تخرج قطعة لحم من الفرن، ردت عليه.

ـ لو أنك كنت تأتي إلى هنا دائماً، وتعتني بنفسك، فلا شك أنك تعلمت الكثير.

ـ تستطيعين قول ذلك. ولكنني أخشى أنني لا أقدر على محاكاة خبرتك. فلو أن هذا الطعام طعمه جيد كما يبدو عليه، قد أرغب في وجودك هنا أكثر.

ـ هناك قول بأن الطريق إلى. . .

وتوقفت عن الكلام وقد احمرت وجنتاها. فابتسم بلطف لرؤية وجهها المضطرب.

ـ هل تحضرت لايجاد طريقك إلى قلبي يا سارة.

ـ لا تكن سخيفاً. انه قول من أحد الأقوال، لا معنى له.



فقال لها مداعباً:

ـ قد أقتنع بشيء من وراء هذا القول.

وتوقف الثلج عن السقوط بعد الغداء، وأشار مارك أن كمية الحطب قليلة.

ـ هناك الكثير من الوقود، ولكن لم يعد هناك حطب كثير. نستطيع الذهاب إلى الغابة الصغيرة واقتطاع البعض منه، إذا أحببت ذلك؟

ـ يلزمنا بعض التمرين على كل حال، بعد جلوسنا في السيارة لهذه المدة الطويلة.

ـ وبعد مثل هذا الغداء الجيد. ظننتك قلتِ انك لا تجيدين الطبخ؟

ـ أمي كانت تقول انني طباخة بطبيعتي، ولا يلزمني سوى الخبرة.

ـ يبدو أن أمك كانت أمرأة ذكية. معطفك الأبيض ساحر ولكنه لا يناسب الأشجار المبتلة وقطع الأخشاب.

كانت الأرض بيضاء وقاسية تحت أقدامها، وتهب ريح خفيفة عبر الأغصان فوق رأسيهما، بينما كانا يسيران عبر الغابة. وكان مارك يعرف أين توجد شجرة قديمة كانت قد سقطت خلال الخريف لا يزال فيها بعض الأغصان الباقية. وبينما كانا يشقان طريقهما إلى الشجرة أدهش سارة العزلة الكاملة من حولهما. وكان مارك قد أخبرها أن أقرب جار له يبعد ثلاثة أميال عنه تقريباً. هنا، لا يوجد شيء سوى الأشجار، والعشب المغطى بالثلوج، لا يقطعها سوى بعض السواقي. وهذا مكان رائع كملاذ للراحة، ولو أنه غير عملي للحياة العادية. ووجدا الحطب وتحضرا لأخذه إلى البيت حيث قال مارك انه من الأسهل التعامل معه هناك. ولم يسمح لها بأن تحمل سوى غصن صغير بينما حمل هو اثنين أكبر منه على كتفيه العريضين. لقد كان له مظهر رجل يمضي معظم وقته في متابعة التمارين الرياضية بدلاً من المكتب، ومرة ثانية اعترفت لنفسها بأنه جذاب.

وكانت متلهية بالتحديق فيه، بقوته وعرض أكتافه، فزلت بها القدم عند ساقية صغيرة ووقعت. وابتلت احدى ساقيها، ولكن البرد كان لا

يبعث على الراحة، وسرت لأنها أحضرت معها شيئاً لتغيير ملابسها عندما يصلا إلى البيت، صر على أسنانه، واعتقدت أنه كان تعباً لأنه وضع ما يحمله فوراً وساعدها على تخليص الغصن الذي وقع منها والذي كان يطفو مبتعداً فوق المياه. وعندما احتجت قال لها بأن عليها أن لا تسير وعيناها مغمضة، ولدقائق قليلة ادعت أنها متألمة.

وأمضيا معاً ساعات لاهية وهما يحضران الحطب ويكومانه، وهما يبداعبان بعضهما من وقت إلى آخر. سارة كانت تعرف أنها سعيدة. سعيدة أكثر من أي وقت منذ شهور. ومع أن هذه العادة قد تكون خطرة فقد قررت أن تعيش لساعتها. وبدأت الظلال تستطيل بتقدم الوقت بعد الظهر. وقريباً سيعودان إلى لندن. وهناك وقت يكفي للاغتسال وتغيير الثياب، وربما لتحضير إبريق من الشاي وقطعة من «التوست» فوق النار قبل ذهابهما. هذا الحطب الذي اقتطعاه سيبقى حيث هو. واقتربت منه قائلة:

ـ لا يمكن لنا أن نستعمله كله.

والتقطت حفنة ثلج، وضعت منها كرة ورمته بها.

ـ كل ما يقولونه عنك في المكتب صحيح، فأنت مستبد لا تستطيع تحمل أن ترى أحداً دون عمل!

وبسرعة صنعت كرة ثلج أخرى بعد أن أخطأته في الرمية الأولى.

ـ ولكن دعني أقول لك يا مارك فينويك، يجب عليك أن تدفع! تدفع الكثير لقاء ساعة لصنع غدائك، دون ذكر التحطيب!

هذه المرة أصابته على كتفه وأصاب الثلج وجهه. وبغضب زائف اندفع نحوها، وانتزعها إلى فوق.

ـ لقد أصبحت واثقة من نفسك كثيراً آنسة تشاو! فلمثل هذه الوقاحة على مديرك الإداري ستحصلين على عقوبة، تدفعينها فيما بعد، بعد أن تغتسلي. فأنا أرفض أن أوسخ نفسي. فوجهك يا طفلتي العزيزة، مليء بالأوحال!



ووضع جسمها الذي يناضل للخلاص في المطبخ، وكأنها لا تزن أكثر من ريشة، متغافلاً عن خديها الحمراوين وعيناها البراقتين وعندما تركها كان يبتسم.

ـ حقيبتك وراءك، أفضل لك أن تأخذيها إلى الطابق العلوي وأن تصلحي نفسك بينما أحمل أنا الحطب إلى الداخل. هناك ماء ساخن يكفيك.

وكان الحمام رائعاً وساخناً. وأسرعت سارة لفتح المياه في مغطس الحمام ليمتلىء بينما تخلع ثيابها المبللة. وانزلقت إلى المياه الدافئة العميقة، وقد نسيت كل شيء عن قدوم الظلام. في النزل عندما تتحمم. كان هناك على الدوام من يقرع عليها الباب، ونادراً ما يوجد ماء ساخن. وإذا لم يدخل المرء أولاً، لا يبقى سوى ماء فاتر.

كانت مرتاحة لدرجة أنها أوشكت أن تنام. وكانت ستفعل لولا أن ذكرى ساعدي مارك وهما تحتضنانها مرتين بعد ظهر هذا اليوم. أبقتها صاحية. ولكنه كان لطيفاً معها، سيكون هذا شيء لتحلم به وهي عائدة إلى لندن. واستغرقت بالتفكير وهي تنعس، وقد نسيت توترها منذ بعض اللحظات، وأقفلت عيناها الثقيلتان.

# ٥ . حلم تحطيم!

وقفز قلب سارة من موضعه عندما سمعت مارك يطرق باب الحمام قائلاً:

ـ لقد حضّرت بعض الشاي، أسرعي أيتها الكسولة!

ـ سأخرج حالاً.

وتذكرت أنه ربما يريد العودة إلى البيت قبل أن يصبح الوقت متأخراً، وعندما ابتعدت أصوات قدميه قفزت من المغطس وبعد أن جففت نفسها، أخذت الفستان الزهري الذي يبدو جميلاً عليها بشعرها البني المربوط، الثوب مصنوع يدوياً من «الفيبر» وهو دافىء كالصوف تماماً ولكن بملمس الحرير. وكان منظره عليها جميلاً، كما لاحظت في مرآة الحمام الصغيرة، ووضعت قليلاً من أحمر الشفاه ومررت المشط في شعرها. هذا كل ما تستطيع فعله لأنها نسيت أن تحضر شيئاً آخر. وعندما يكونان في الطريق، لن يلاحظ مارك ما إذا كانت تضع زينة أم لا. وعندما يصلان، سيكون الوقت متأخراً لتناول العشاء في مكان ما.

وكان الشاي جاهزاً عندما نزلت إلى الطابق الأرض. وكان قد وضعه في غرفة الجلوس التي أصبحت الآن دافئة ومريحة. والنار تشتعل براقة والستائر مفردة لمنع البرد. ونهض على قدميه عندما دخلت الغرفة.

ـ تستحقين كثيراً من الانتظار.

وابتسم وتقدم نحوها وقادها بلطف إلى الكرسي.



ـ يعجبني ثوبك يا ساره. لم أتصور أن اللون سيناسبك هكذا. ويناسب عيناك الواضحتي الزرقة. لقد كان اختيارك ممتازاً. فهذا يجعلك تبدين رائعة الجمال.

ـ إنه ثوب جديد.

ـ وساحر أيضاً.

ـ ليس عندي ما بدا مناسباً لقضاء بعد ظهر يوم مثلج في الريف.

ـ إذا كنت تفكرين في الطقس حقيقة، وليس بي؟

ـ طبعاً، فأنت مدلل كفاية كما أنت.

ـ مدلل؟

ـ من النساء، أعني...

ـ اجلسي، لن تصدقي ما أقول، ولكنك تتكلمين عن شيء غير صحيح. إذا كان حصل أي دلال فأنا من قام به. وفي هذا السياق أنت مختلفة يا ساره فأنت لست متطلبة كباقي النساء الأخريات اللواتي عرفتهن. ولا امرأة اخرى كانت ستقبل بطهو طعامي أو تقطيع الحطب معي.

ـ إذاً لم تتعرّف على النوع الجيد.

ـ حسناً لقد عرفته الآن. دائماً يثبت أن الوقت لم يفت. أليس كذلك؟

وضحكت. وبدأت تملس أسفل ثوبها، ثم مدت يدها إلى النار ومرر لها شوكة نحاسية طويلة مخصصة للشوي في طرفها قطعة من الخبز وسرّها ان وجدت ذوقه في الخبز المحمص يشابه ذوقها تماماً. وتلاشت من ذهنها صور النساء الأخريات وهي تقرب الخبز من نقطة قريبة من جمر الحطب، وبعد بضع دقائق عبقت رائحة الخبز المحمص. وصب مارك الشاي. وكان طعم الشاي الساخن والخبز المحمص جيداً. وقال لها فجأة وهو يجلس بقربها يقدم الزبدة.

ـ لقد تأخرت في حمامك.

ـ آسفة، لم أستطع مقاومة الحمام.

ـ لا مانع أن تأخذي ذزينة حمامات.

ـ لا أحتاج إلى هذا العدد.

ـ ألا يوجد ماء ساخن في النزل؟

ـ ليس كهذا.

ـ إذاً، هل ترين كم كان قراراً صائباً منك أن تأتي إلى هنا.

ـ أجل، ولكنني لم آت فقط من أجل الحمام لقد استمتعت بهذا اليوم كثيراً، كنت أتمنى لو أنه يطول أكثر. أعتقد أننا يجب أن نعود إلى لندن؟

واستدار في كرسيه وحدق بها بصمت لعدة لحظات قبل أن يسألها.

ـ هل تريدين فعلاً العودة هذه الليلة؟

سؤاله بصوت منخفض غير المتوقع مرّ بها وكأنه نوع من الصدمة، وسبب لأنفاسها الحدة. هل كان يسألها عما إذا كانت راغبة حقاً في البقاء، أم أنها فهمته بشكل خاطىء؟ بالتأكيد لم يتخيل بأنها ذلك النوع من الفتيات اللواتي لديهن عادة بقضاء نهاية أسبوع غير شرعية مع رجل. نهاية اسبوع مثل التي يتبجح بها بعض الفتيات في المكتب؟ هل هذا ما يفكر به؟ بالتأكيد لا...

وأخذت يد ساره ترتجف، ولم تنظر إليه عندما وضعت الفنجان في الصحن. مهما يكن مارك مولعاً بالنساء، فلن يطلب من فتاة مثلها قضاء مثل هذه الليالي معه! وعلى الرغم من ملاحظاته، لا يمكن له أن يريد منها فعلاً مشاركته هذه الليلة. ومثلما استمتعت هي برفقته، استمتع هو بصحبتها الودية التي تمت بينهما، ولم ير أي ضرر في إطالة مدة الزيارة، وقد تكون بطريقة ما مجاملة، إذ يرى أنها بكل بساطة صديق، ألن تجرح مشاعره إذا بدت أنها تفكر بطريقة أخرى؟ ألن تبدو غبية إذا رفضت البقاء، إذا كان هذا ما يعنيه حقاً؟ وكان الأمر مغرياً، كما أقرت، فالرحلة الطويلة إلى لندن في ليلة شتاء ليست مشجعة.

لم تدرك كم عم الصمت الى أن تحرّك وقال:

ـ لا لزوم لأن تقلقي لشيء يا ساره. فكلانا تعب وبحاجة إلى بعض



الاسترخاء، تستطيعين النوم في السرير فوق، وأنا سأنام هنا.

ـ أوه...

وشعرت بنفسها أنها كانت سخيفة. وارتاحت فوراً لأن موجة من السعادة انتزعت مخاوفها. وكانت تدرك أن أمامها قرار تتخذه، وكانت ممتنة لأن مارك وهو يعيد التأكيد لم يحاول أن يغالي في إقناعها. والخيار، الخيار الأخير، كان لها وحدها، وبطريقة ما، وهي تحدّق بالغرفة الدافئة الخافتة الضوء، والريح البارد يصفر من خلال النوافذ في الخارج، بدا وكأن القرار اتخذ.

ـ في الحقيقة لا أرغب في العودة هذه الليلة يا مارك، أحب أن أبقى، فقط...

ـ فقط أنت خائفة من أن أحداً في المكتب قد يكتشف الأمر؟

حسناً، قد يكتشفونه في وقت من الأوقات يا عزيزتي، ولكن ليس هناك سبب لأن يعرفوا كيف تقضي عطلاتك. ولو كنت مكانك لن أقلق حول هذا الأمر بالتأكيد. سنعود غداً أو الاثنين باكراً على الأكثر.

ـ إذاً سأبقى. إذا أحببت ذلك فعلاً.

ولم يبدو أنه قرار بهذه الدرجة من الخطورة، على كل الأحوال، وابتسمت بسعادة عندما عاد إلى الجلوس وتابع احتساء الشاي.

شعرت في الحال بالفرح، وبأنها تحبه أكثر لأنه يراعي مشاعرها. فلم يرد فقط توفير رحلة قاسية عليها، بل إنه كان مهتماً بأن عليها التمتع بعطلتها. وضحكت في وجهه بسعادة، وعيناها الزرقاوان ترقصان.

ـ لا أدري إذا كنت خططت لكل هذا يا مارك فينوبك، ولكن إذا كانت فكرة وليدة لحظتها، فماذا تفعل للعشاء؟ أنا تكفيني بيضة مسلوقة، ولكنني أشك أنها تكفيك!

وحدّق بها وتمتم، وهو يمد رجليه إلى حرارة النار:

ـ ربما كان هذا عالقاً في مؤخرة تفكيري. لقد تجرأت على أن آمل. انقضضت كالبرق على محل كبير في لندن قبل أن نسافر هذا الصباح.

لقد وضبت كل ما أحضرت في الثلاجة بينما كنت تدللين نفسك في مغطس حمامي دون خجل. وستجدين وعاء طعام يغلي على النار، لو أنك رفضت البقاء كنت سأقترح تناول الطعام قبل الرحيل. فتقطيع الحطب يفتح شهيتي دائماً.

وأنهيا شرب الشاي بصمت متبادل. ولأنه لم يحاول لمسها شعرت بالثقة بأنها قد فعلت الشيء المناسب، وذكريات العطلات برزت أمامها مثل حلم رائع مستحيل. رائع لأنها ستمتلك مارك لنفسها لعدة ساعات، ومستحيل لأنها أبداً وحتى في أكثر أحلامها جنوناً لم تتخيل أن أي شيء مثل هذا قد يحدث لها. يوماً ما ستخبره كيف تشعر الآن. أما الآن فيكفيها أنه هنا نصف نائم قربها على كرسيه، تاركاً لها لتحلم قليلاً لنفسها.

بعد ذلك بقليل تثاءب، وأزعج نفسه مقترحاً وهو يشير بيده أنها يجب أن تذهب وتنظر إلى وعاء الطعام وتضع فيه بعض الخضار، وصعد إلى الطابق العلوي، ووجد سروالاً محترماً وعندما نزل، كان مغتسلاً وغيّر ملابسه، وبدا بشعره السميك الممشط المبلل على رأسه، وسيماً بشكل مثير للقلق. وتناولا الطعام في المطبخ ثم حملا قهوتهما وعادا إلى غرفة الجلوس. وأدار قرص آلة التسجيل، ولكن بصوت منخفض بحيث أن الموسيقى جاءت ضعيفة وكأنها من بعيد. وأطفأ كل الأضواء ما عدا واحداً، حتى يساعدهما هذا على الاسترخاء.

لقد مضى زمن طويل منذ أن أمضت ساره مثل هذه الأمسية وشعرت بحنين لمنزل خاص بها، الرياح العاصفة المعزولة في الخارج، ودفء النار الملتهبة في الداخل، ومارك! مارك وحده جعل من هذه الرغبة نوعاً من الحمى.

وكأنما أحس بأنها تفكر بصمت، فلم يتحرك ليجلس على كرسي لوحده، بل جذبها بلطف ليجلسا على أريكة ووضع ذراعيه حولها. بعد قليل جذبها إلى قربه أكثر والموسيقى الناعمة تملك سمعهما. ومر وقت



طويل دون أن يفعل شيئاً سوى الإمساك بها برقة. وعندما فعل شيئاً آخر فعله كمن يتصرف دون تفكير، وساره نصف مدركة لذراعه وهي تشتد عليها أو أنه عن سابق تصميم أدارها نحوه وجذبها إليه ليعانقها، كان عناق مريح في البداية، ولم تشعر سوى ببعض الدوار، وشعور مريح بالاطمئنان.

ـ هل تحبين بقاءك هنا معي؟

ـ نعم أحبه.

ـ ستقولين لي لاحقاً انك سعيدة اننا التقينا

ـ أجل على الأقل لست نادمة.

ـ ولا أنا.

وابتسمت ومررت جبهتها الناعمة على ذقنه الخشنة. ولم تدرك عندها أن الرقة قد تكون تخفي أهدافه الحقيقية. فحركة أصابعه الحساسة كانت ساحرة بحيث لم تترك مجالاً للخوف.

ـ لم تهتمي بي كثيراً في البداية، أليس كذلك؟

ـ في الحقيقة كنت خائفة منك، ولكنني لا أعتقد أنك توقفت عن التفكير عما إذا كنت أعجبك أم لا. لقد دعوتني بالتافهة الصغيرة، أليس كذلك؟

ـ لا أصدق هذا!

وضمها من جديد مظهراً لها بازدياد ضغطه عليها أنها كانت تتخيل عدم إعجابه بها. وعندما تجرأت على التجاوب معه قليلاً قال «هكذا افضل» وشد عليها أكثر وكأنما يتعمد تعليمها كيفية عناقه. حتى استرخى جسدها وتداخل تماماً بجسده، وبداها تمران على كتفيه. وعندما ابتعد عنها في النهاية شعرت برعدة صغيرة من الامتعاض وأسرعت إلى التحرك نحوه في الزاوية التي يجلس عليها من الأريكة. في وقت لاحق من هذا علمت أن هذه هي الطريقة التي قصد أن تشعر بها، وبأنه ضحك عليها كساذجة صغيرة حمقاء، حمقاء ولكن خبيرة! وكان هذا هو الجزء الذي يؤلم أكثر.

وبينما كانت تنظر إليه وقلبها في عينيها أدار رأسه بكسل وقال:

ـ أعتقد أنك يجب أن تذهبي للنوم يا ساره. فالمشي في الهواء الطلق لا بد أتعبك، ناهيك عن العمل المتعب.

ـ لست تعبة جداً.

وشعرت باستغراب أنها أكثر حياة من أي يوم قد تذكره، وغير راغبة في أن تتركه. فهذه اللحظات ثمينة، وقد لا تعود مرة أخرى. وهي لا تمانع في البقاء هنا إلى الأبد، لو أن مارك يشعر بالشيء نفسه. عندما تركتها ذراعاه شعرت ببرودة رهيبة، وتمنت لو تبقيا من حولها. على كل يبقى هناك الغد. ربما كانت سخيفة ومستعجلة كثيراً؟ وقبل أن يغادر إلى لندن قد يكتشف أنها تعجبه بالقدر الذي يعجبها.

ـ كما تريد يا مارك.

ـ ستجدين الفراش نظيفاً ودافئاً.

ـ ليلة سعيدة يا مارك. كنت لا أحب أن أحرمك من فراشك، لا أستطيع مساعدتك...

ـ لا، اذهبي. لن تحرميني من شيء... سأدبر امري.

بدا الأمر لا يصدق فيما بعد، لعدم مرور أي خيط من الريبة في ذهنها. ربما بسبب أنها كانت خدرة من تجربة عناقه لها، وبأنها وصلت إلى حالة من الحلم المدمّر، وقد هجرها تفكيرها السليم، وصعدت إلى الأعلى دون أن يحدث شيء مباشر يعيدها إلى الحقيقة القاسية.

ولم يكن معها ثياب نوم، ولا اقترح مارك شيء عليها بهذا الخصوص. وفكرت بأن تطلب منه جاكيت بيجاما لتنام بها، ولكنها لم ترغب في إحراجه. إذ تستطيع أن تنام بملابسها الداخلية.

وأطفأت النور بعد أن خلعت ثوبها ووضعته بحذر فوق الكرسي. وكانت الغرفة رائعة ودافئة، تماماً كما قال مارك. ودخل ضوء القمر الخافت عبر ستائر الغرفة. واتجهت بسعادة إلى النافذة وقدماها عاريتان ووقفت تحدّق إلى العالم الصامت في الخارج، وقد تغطى بعمق بالثلج



السحري الأبيض، كان المنظر جميلاً في الخارج ولكنه جعل ساره تدرك أنه بارد جداً، وشعرت بالسعادة للدفء من حولها. وكان الفراش مغطى بلحاف ضخم يعد بالأحلام الحميمة.

لم تكن متأكدة كم مضى من وقت وهي واقفة هناك دون إرادة، وعيناها تحدقان بالثلج، ونصف أفكارها مع مارك. وأرعبها سماع صوت ضعيف لا أكثر من حرتقة آتية من الباب، واستدارت لتجد نفسها تصطدم برؤية الرجل الذي كانت تفكر به. لقد دخل الغرفة متسللاً بهدوء كقط كبير.

ـ ساره!

ـ أوه، مارك كم أرعبتني!

ـ صحيح، هل أرعبتك؟ ظننت أنك في الفراش!

ـ لا... لا...

وتلاشى صوتها بينما هي تحاول التغلب على قناعتها بأن هذا غير صحيح. ألا تظهر وكأنها حمقاء إذا توصلت إلى استنتاج خاطىء؟ ولو تصرّفت بشكل سيىء قد لا تبدو حمقاء فقط بل ستدمر العلاقة الجديدة الثابتة والمحببة بينهما. ربما دخل إليها للاطمئنان فقط. ويجب أن لا يعلم أنها شعرت بالخوف.

ومع ذلك لم تقدر أن تمنع نفسها من المقاومة قليلاً عندما، بدل أن يتركها، شد ذراعيه حولها واتسعت عيناها وتمتمت:

ـ كنت أتأمل منظر الثلج قبل الدخول إلى الفراش. لا ترى الكثير منه في لندن.

ودون إعارة مقاومتها أي اهتمام انزلقت يداه على ظهرها ليجذبها أكثر، وأتى صوته منخفضاً في أذنيها.

ـ تستطيعين نسيان لندن يا ساره، على الأقل ليلتين وربما أكثر.

ـ اعرف ذلك، ولكن..

ـ لا تحتجي أكثر، يا حبيبتي.

واصبح عناقه لها فجأة اشد، وهو يحتضنها بقوة. وشعرت سارة

بالخجل يتملكها لأنها لم تكن راغبة حقاً في التخلص منه. وشعرت بردة فعل كارهة عندما شدها إلى صدره العاري ووقعت احدى يديها على صدره المليء بالشعر، وترك لرغباته العنان، ووعت سارة المشاعر تتصاعد من داخلها. وفجأة ادركت ان هذا شيء يجب أن تتقبّله يجب ان يكون هناك على الدوام مرة أولى، لكل انسان، وإذا كان مارك يحبها كما تحبه سيكون كل شيء على ما يرام.

ـ هل تهتمين بما سيحدث الليلة أم أنك ستعتنين بنفسك؟

«تعتنين بنفسك»؟ عصفت بها الصدمة فوراً بينما كانت تستوعب ما يعنيه. والجواب يجب أن يكون لا! كل قطعة من جسدها كانت تصرخ معارضة.

ـ مارك.. لم أعاشر رجلاً هكذا من قبل.

ورفع يده عنها وقال بسرعة:

ـ اتعنين أنك...

ـ نعم

ـ يا الهي!

واستدار مبتعداً عنها وهو يقول:

ـ سارة... اتقولين الحقيقة؟

ـ أجل، ولكن هناك دائماً المرة الأولى، وإذا كنا نحب بعضنا... وننوي الزواج...

ـ الحب! اشك في أن أحدنا يعرف المعني الحقيقي لهذه الكلمة. دعيني أقول لك يا سارة، لم أحاول الاستفادة من فتاة دون تجربة من قبل، ولا أنوي أن تكوني استثناءاً.

ـ ولكن...

ـ ودون لكن أيضاً... لا أريد التورط مع فتاة مثلك. اتظنين انني ارغب في أن أكون مسؤولاً عن الالم والدموع، والاتهامات التي لا تنتهي؟



ـ أنا...

ـ لماذا وافقت على البقاء؟

ـ لم أعتقد...

ـ كم هذا مثير للشفقة! لا تقولي انك ظننت أنني اقترح عليك قضاء عطلة عذرية.

ـ أنا... لم أعتقد أن الأمور ستكون هكذا اعتقدت أننا سنتعرف على بعضنا أكثر.

ولم تحظ منه سوى بنظرة احتقار، ولاحظت ان وجهه المعتم كان وحشياً بينما كان يقف وهو يحدق بها.

ـ مارك ارجوك!

ـ يا الهي، لك حركات عاهرة صغيرة، اليس كذلك؟

وصدمتها كلماته وكأنها دوش بارد، وحاولت ايجاد غطاء تستر به نفسها.

ـ حواء المثالية! تبحث عن ورقة تين، هذا يجعلني أتساءل! هل أنت متأكدة أنك لم تعاشري رجلاً؟

ـ لا! ولن أفعل بعد الآن!

ـ ليلة سعيدة يا سارة، ساتركك تحلمين لوحدك. ولا تتصوري أنني أحببتك أبداً!

وأغلق الباب وراءه بشدة حتى أنها لم تشك أبداً بأنه يعني كل كلمة قالها. وما قاله سبب لها ألماً جسدياً تقريباً. وحدقت بالباب المغلق الذي بدا وكأنه يتمايل في ضوء القمر. لم يتمنى لها نوماً جيداً، ربما وفر عليها هذا الكلام، لأنه علم من وجهها المعذب أنها لن تنام بأفضل مما سينام هو.

وأخيراً غطت في نوم عميق بسبب الارهاق، وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما أفاقت. في البداية لم تصدق أن ما حدث حقيقة. حتى شاهدت الشمس تشع. ظنت أن ساعتها توقفت في الليلة الماضية. وبفزع قفزت من الفراش لتجلس على حافته ثانية الى أن

توقف رأسها عن الدوران، وأخيراً ذهب الشعور بالغثيان من حلقها. ومدت يدها تشد ثيابها الداخلية. وتذكرت دون ارادة منها ما فعل بها مارك. وارتعدت، مع أن الغرفة مازالت دافئة. لم تكن البرودة هي السبب، بل ذكرى ذراعي مارك، والاشياء التي قالها. مع أنها يجب أن تكون ممتنة! ربما معاملته القاسية انقذتها من ندم كثير. وبيدين مرتجفتين سوّت ثيابها الداخلية ومشطت شعرها. لا بد أنها كانت مجنونة عندما تصرفت هكذا، وحتى أكثر جنوناً عندما وافقت على البقاء هنا معه. على الرغم من حبها له. كل ما ترغب به الآن هو العودة الى لندن!

وارتدت ملابسها بسرعة، دون أن تفعل أي شيء آخر. مظهرها لم يعد يهمها في هذه المرحلة، كما يهمها التفكير بالوضع ما بينها وبين مارك. حتى التفكير بالنزول الى الطابق السفلي كان يزعجها. لم يكن هناك أي أثر قد يشير إلى ما قد يكون يشعر به، ولا فنجان شاي قرب فراشها قد يظهر أنه قد يساعها. كيف لفتاة أن تواجه رجلاً بعد ذلك الاخفاق في الليلة الماضية؟

وهبطت مترددة، وكان البيت يغرق بالصمت، يعطيها شعوراً غريباً بأن مارك غير موجود. ووجدت مذكرة ملقاة على الطاولة يقول فيها انه خرج وسيعود بعد العاشرة حيث تكون قد استعدت للمغادرة الى لندن!

وتطلعت سارة الى الساعة لقد حان وقت رجوعه، ولم تجد أثراً لأي طعام افطار. لو أنها لم تنم إلى وقت متأخر! ولم تدري ماذا تفعل، فهرعت راجعة إلى فوق، ورتبت الفراش، ووضعت اشياءها القليلة في الحقيبة. وحملتها إلى المطبخ في الأسفل، حاضرة للمغادرة. وحضرت لنفسها فنجان شاي، وبينما كانت تفتش في الثلاجة عن بعض الحليب لاحظت قطعت كبيرة من اللحم الطازج وتساءلت عما سيفعله مارك بها. من المؤكد أنه لن يأخذها معه ليقدمها إلى مدبرة المنزل. وبينما كانت لا تزال واقفة تحدق باللحم، دخل مارك.

ـ صباح الخير يا سارة. هل شاهدت رسالتي، أرجو أن لا يكون تركي لك قد أزعجك. إنه صباح جميل، اليس كذلك؟



ـ نعم...

وردت عليه تحيته باشراق، جاهدة أن يبدو صوتها طبيعياً. ولكنها وجدت صعوبة للنظر اليه. فلو أنه قادر على التظاهر بأن شيئاً لم يحدث كذلك ستفعل هي. يجب أن تبرهن أنها لا تزال تملك بعض الكرامة! وتابعت قولها دون إكتراث:

ـ كنت أتساءل، ماذا تنوي أن تفعله بهذا؟

ـ ساتركه، ساعطيه للاشخاص الذين أخبرتك عنهم، الذين يهتمون بالمكان. ساتصل بهم من البلدة، ولديهم مفتاح وسوف يحضرون لأخذها، ويقطعون الكهرباء عن البيت.

ـ آه، عرفت الآن!

وأغلقت باب الثلاجة والتقطت معطفها الذي وضعته بشكل ملائم على كرسي، وبينما كانت تتجاوزه، خفضت رأسها حتى لا ينظر إليها جيداً، ولكنه أمسك ذراعها، وأوقفها.

ـ لا، أنت لا تعرفين شيئاً! ليس ما أفعله هو الذي يهمك ولكنك لا تريدين أن أذيع أنني قدمت إلى هنا مستعداً لقضاء عطلة مطولة أكثر من التي حصلنا عليها؟

ـ مارك أنا...

ولم تلاحظ ماذا تفعل، فقد حدقت من المكان الذي قبض فيه على ذراعها صعوداً إلى وجهه الجامد، وتركته ينظر الى وجهها للمرة الأولى ذلك الصباح. وسمعت أنفاسه تحدث صوتاً خشناً. ولكن لم تعلم ما إذا كانت بسبب منظر وجهها المتعب أم لا، لم تكن متأكدة. وصدر عنه إشارة لعدم المبالاة بها، وترك ذراعها.

ـ إذا كنت تشعرين بالتوعك هذا الصباح يا سارة، فقد يريحك أن تعلمي أنني أنا أيضاً متوعك، لن أستجوبك أكثر، إذا كان هذا ما يزعجك، ولكنني أنصحك أن توضحي وضعك في المستقبل لاي رجل تخرجين معه.

ـ لقد قلت هذا من قبل.

ـ تجعليني أقول أشياء لا يقولها رجل لفتاة بريئة مثلك. ألم تفهمي الخطر الكامن بك؟

ـ مارك، قلت لك انني آسفة. أعرف أنني مخطئة بالنسبة لهذه العطلة، ولكن كان عذري انطباع خاطىء أيضاً.

ـ لقد ظننت أنك ستعودين إلى لندن مع خطيب ثري؟ لاجل السماء يا سارة، لا تقفي هكذا، وكأن شيئاً لم يحدث لك! في مهنتي يصبح المرء سيداً لأنه يقرأ بين السطور. لقد قامرت ولم تنفع المقامرة. ولكنك لا تستطيعي أن تعتبريني مسؤولاً عما حدث.



## ٦ ـ انتهى كل شيء!

حدقت سارة بمارك، وهي تشعر بدمها يكاد يتجمد في عروقها. لو أنها حقاً فكرت بالزواج لم يكن ذلك قبل أن كانا في غرفة النوم. لم تخطط لشيء سلفاً، كما أشار بسخرية! وأحست فجأة بالغضب يتملكها وبحاجتها لأن تصفعه وصرخت به:

ـ أنت متوحش! لن يكونَ لي صلة معك بعد الآن حتى ولو توسلت إليّ! أنا أكرهك! هل تسمع، أكرهك!

أنفاسها المصدومة منعتها من الاستمرار في الكلام، ولكن عيناها الزرقاوان أظلمتا بقوة أحاسيسها المحموم بينما كانت تحدق به. لا بد أنها قالت ما فيه الكفاية، لأن ضحكته الصفراوية لم تكن تحتوي على أي نوع من الحيوية. لقد كانت فقط التواءه تهكمية لشفتيه، وكان كل رده، وببرود:

ـ اصعدي الى السيارة. سأنضم اليك بعد لحظات.

خلال طريق العودة إلى لندن جلست سارة بصمت جامد، ولم يحاول مارك أن يتكلم ولم تكن قد تناولت طعام الإفطار إضافة إلى شعورها بالتعب مما جعلها تشعر بالضعف، وبحاجتها للبكاء ثانية. وحتى لا تظهر نفسها وكأنها غبية، أغمضت عينيها التعبتين. وعندما فتحتهما بعد ذلك، وجدت مارك يهزها. فقد وصلا إلى لندن، خارج النزل.

وكانت لا تزال تشعر الدوار، وطرفت عيناها تتطلع اليه، غير مدركة

أنها كانت مستغرقة بالنوم. بادىء الأمر، لاحظت أن يديه كانتا رقيقتين بشكل غريب، وكان في عينيه نظرة لم تفهمها، عندما كان يراقبها وهي تصحو، لو أن ما رأته كان حناناً، فلا شك أنه وهم، لأن التعابير على وجهه كانت قاسية بعدم اكتراث بينما كانت تحاول النهوض، وقال لها بصوت غير معبّر:

ـ لقد وصلنا.

ـ أوه...!

واندفع اللون الأحمر إلى خدي سارة البيضاوين. لقد قصدت أن تجلس بهدوء ووقار، ولكنها لم تفعل. وتطلعت إليه بذهول وقالت:

ـ آسفة، لم الاحظ هذا.

بعد مغادرتها السيارة استدارت، أعطاها حقيبتها وقال:

ـ أنا مضطر للسفر بعيداً خلال الأسبوع القادم، ولكنني أتوقع أن أراك في وقت ما.

ـ أجل... وداعاً.

وأمسكت حقيبتها قريباً من صدرها، دون أن تلاحظ أصابعه وقد ابيضت من شدة قبضته على المقود، ثم استدارت وتركته.

بقية ذلك اليوم، كما الاسبوع الذي تلاه، مر على سارة اشبه بالظلام المدوخ. لم تفكر أبداً أن الوقت قد يصبح دون معنى أو أن شيئاً ما، ليس جسدياً بالكامل، ممكن أن يسبب الألم. وحاولت جاهدة أن لا تفكر بمارك وبما حدث. ولكنها وجدت الأمر مستحيلاً. في المكتب، داعبتها الفتيات قائلات:

ـ تبدين وكأنك مبتلية بالحب يا سارة الصغيرة!

وفي الحال شعرت برغبة في الصراخ، والقول لهن أن يصمتن ويتركنها وشأنها. ولكن كل ما استطاعت فعله ابتسامة مريضة، اقنعتها أكثر أنهن أقرب إلى نقطة الحقيقة منها.

ـ ألن يراك بعد الآن؟

وواجهتهن بالاعتراف صراحة.



ـ لا... لن يراني، إذا رغبتن في المعرفة، لم يكن الأمر حتى جاداً، وكان عليه أن يبتعد..

ولاحظت سارة أنهن فقدن الاهتمام، وتمتمن دون مبالاة بأن هناك سمك آخر في البحر، ومن الأفضل أن يحب المرء ويخسر، كذلك إذا كانت صبورة فقد يعود إليها. وابتسمت، محاولة التظاهر بأنها غير مهتمة، كان بإمكانها القول لهن انه لن يعود. لقد أوضح مارك هذا الأمر تماماً. لم يكن يرغب أن تكون له صلة بها، وأوضح لها أيضاً أنه يعتبرها مسؤولة عما حدث مثله تماماً. وكان هذا يلاحقها، ولكن ليس بالقدر الذي تلاحقها به ذكرى ذراعيه وهما تضمانها بشدة، وعناقه الحميم. وكم تمنت لو تقدر على النسيان.

مضت عدة أيام قبل أن تفهم أنها لو استمرت بالعمل في شركة «أسترو» فلن تتمكن من النسيان. حتى ولو لم تره كان الكلام عنه دائماً في المكتب. بعض الفتيات احضرن نسخة قديمة من مجلة المانية تظهره برفقة شقراء رائعة الجمال، والأخرى اقتطعت صورة من مجلة يعلم الله من أين أتت بها، تظهره خلال رحلته الأخيرة إلى فنزويلا يتناول العشاء مع حسناء سوداء الشعر، وبدت الامرأتان، كما اقرت سارة بمرارة، أكبر سناً منها وأكثر خبرة. على الأقل لم تبدوا فتاتين صغيرتين بسيطتين، قد يرفضهما مارك ويفقد الاهتمام بهن! إذا كان لها أن تستعيد راحة البال، فمن الواجب عليها ترك العمل هنا باسرع وقت ممكن.

بعد أن توصلت إلى هذا القرار، قابلت صدفة ديكي غوردن، في الحقيقة لم ترغب في مقابلته بل على العكس. فقد بدت لها صداقتهما لا معنى لها، ولكنه كان ينتظرها في إحدى الأمسيات خارج النزل حيث لم تستطع تجنبه أو تجاهله. وقال لها وهو يفتح نافذة سيارته بينما كانت تقترب منه:

ـ مرحباً! اترغبين في تناول العشاء يا عزيزتي؟

كانت معتادة على لهجته اللامبالية وقليلة التأثير، ومع ذلك لم يؤثر هذا في ردها.

ـ حقيقة لا أرغب يا ديكي.

ـ أوه تعالي!

واستخدم اسلوبه المفضل لاقناعها، بالتطلع إليها كولد صغير يتوسل، ولكنها قالت:

ـ آسفة.

ولكنها ترددت. وأعادت التفكير: ماذا ستخسر؟ مارك ليس هنا، ولو أنه موجود فلم يكن يرغب في أن يكون له معها علاقة، وساعات الفراغ في المساء تتمدد دون نهاية. وتطلعت اليه مقطبة، واسرع يبدد عنها التردد قائلاً:

ـ قد يفيدنا هذا معاً، كما تعلمين.

وقبلت في النهاية، ولكن عندما أتى ليأخذها بعد ذلك بساعة كانت لا تزال غير متأكدة لماذا يهمها الأمر معاً. لم يكونا حتى صديقين جيدين. ولا قاما بجهد ليكونا. نصف الوقت الذي أمضياه معاً لم يحاولا التحدث، بل جلسا ليراجعا أفكارهما، عادة كانت سارة تشعر بالارتياح معه، ولكن في هذه الليلة أي شيء كان أفضل من الجلوس وحدها في النزل لتفكر بمارك.

لم تكن هذه الأمسية مختلفة كثيراً عن الأمسيات التي أمضتها من قبل مع ديكي. وبعد تناولهما وجبة خفيفة اقترح عليها شيئاً غير عادي:

ـ لماذا لا نذهب إلى شقتي ونستمع إلى بعض التسجيلات؟ أنا أصنع قهوة جيدة أفضل من التي نحصل عليها هنا. بصراحة يا ساره لا أرغب في حضور فيلم هذه الليلة، أو أي شيء آخر.

ـ ولكن فقط لساعة واحدة. فلست معتادة على زيارة رجل في شقته، وأنا أعيش في نزل كما تعلم. ولا يوافقون على تأخري في الخارج.

ـ سأذكر ذلك، واعدك أيضاً أن لا أغازلك، يا سارتي الحلوة الصغيرة.

ـ من الأفضل لك أن لا تفعل.



ما حدث بعد ذلك، لم تكن لتتصوره، والصدمة والمضاعفات التي تلت كان لها أن تبقى معها لوقت طويل.

كانت ساره منشغلة بمشاهدة معالم الشوارع حتى أنها دهشت عندما توقف ديكي في ركن هادىء وقال:

ـ ها قد وصلنا.

وأدهشتها شقته. فقد كانت أجمل مما تصورت.

ـ كانت ملكاً لوالدي. ولقد توفي والدي وتركها لي. والدتي لا تزال تستخدمها عندما تعود عادة من أوستراليا.

وكما وعدها، كانت القهوة جيدة. وتسجيلاته، ولو أنها لا تطابق ذوق ساره، كانت جميلة وناعمة. ووجدت نفسها مسترخية للمرة الأولى ذلك الأسبوع، حتى أنها رقصت عندما دعاها ديكي للرقص معه. وكانت الساعة تشير إلى ما بعد العاشرة عندما وقفت بعزم لتذهب، وجذبها بين ذراعيه. وهمس:

ـ ساره، أنت حلوة جداً. أرغب في عناقك.

ومع علمها أنها يجب أن تدفعه بعيداً، إلا أنها وجدت نفسها تتساءل كيف سيكون هذا العناق مع شخص غير مارك. هل تستطيع تخيل الطريقة التي يجعلها تشعر بها؟ ألم تكن تبالغ بالنشوة معه؟ أليست هذه فرصة لها لتكتشف الحقيقة؟ لن يحدث أي ضرر، لأنها كانت على وشك المغادرة وهي متأكدة أنها تستطيع السيطرة على ديكي. وابتسمت له قليلاً، محاولة أن تكون مازحة وقالت:

ـ إذا كنت تحب هذا مرة واحدة فقط.

وكان عناقاً طويلاً، ولم تلاحظ ساره كيف كان يضمها قريباً منه بينما هي تتعجب للطريقة التي فشلت بها أن تحس بشيء. ولا حتى وهي تنتظر لم يكن هناك وميض من الانفعال، ولا وجدت جسدها يتجاوب كما فعلت بين ذراعي مارك فينويك.

وفجأة أحسّت أن ديكي قد تركها، وأن ذراعاه لم تعد تلتفان حولها.

وسمعت شهقة تعجب قصيرة تصدر عنه وللحظة وقفت متحيّرة، إلى أن شق الجو صوت صراخ امرأة حاد ومرتفع.

ـ ريتشارد... كيف تفعل هذا بي؟ كيف تستطيع؟

واتسعت عينا ساره، وهي تدير رأسها دون وعي وقد ظنّت أن سمعها قد أصابه شيء. بعد ذلك، وبينما هي تستدير، وجدت نفسها تتجمد ببطء وهي تلتقي بالاحتقار البارز في عينين رماديتين جامدتين. إنه مارك!

وتطلعت بذهول من مارك إلى الفتاة الباكية على ذراعه، فتاة بدا عليها أنها على حافة الانهيار. ولاحظت أن مارك على الرغم من تثبيت نظره عليها، كان يحيط الفتاة بذراعه وكأنه يحميها. أما ديكي، فقد وقف، ووجهه شديد الحمرة، ويبدو عليها الشعور القوي بالذنب، بشكل كان سيزعج ساره في ظروف مختلفة، لأنها تشعر بأن شيئاً لم يحدث ليشعر بالذنب هكذا. ولكن وجود مارك هو الذي سبب لها الفزع.

للحظات أغلقت ساره عينيها، غير قادرة على تصديق ما يحدث أمامها، وعندما فتحتهما، كان هو والفتاة لا يزالان هناك. وشاهدت دموع الفتاة، وانقلبت بسرعة إلى الغضب قبل أن تتحول تحديقتها إلى مارك. وقالت بيأس:

ـ ظننت أنك لا زلت مسافراً.

والتفت نظرة مارك الباردة بنظرتها.

ـ لا دخل لهذا بذاك.

والتفت إلى ريتشارد بقساوة.

ـ من الواضح أنك صدمت لدى ظهورنا. ولكنني أقترح أن تفسّر لزوجتك، التي هي شقيقتي، هذا الوضع.

وتملّك وجه ساره الصدمة، وهي تلتفت بسرعة إلى ديكي.

ـ زوجتك؟

ـ لقد أخبرتك عنها.



ـ أخبرتني عنها؟ بالطبع لا!

وقاطعهما مارك بصوت قاس لأنه بدا بوضوح أنه لم يصدّقها.

ـ لا أهتم بما قلته لصديقتك يا ريتشارد. فإن كل اهتمامي الآن بشقيقتي.

ورد عليه ديكي:

ـ لست أدري لماذا أنت منزعج هكذا. بالتأكيد إنك من بين كل الناس لا تضن على نفسك بقليل من المرح؟ إضافة إلى ذلك هيلاري وأنا كنا متنافرين منذ بعض الوقت.

وبدا مارك وكأنه سيكون سعيداً لو أنه طرح ديكي أرضاً.

ولكن هيلاري قالت بحدة:

ـ تستطيع الحصول على الطلاق يا ريتشارد، لن أمانع بعد الآن إذا كان هذا ما تريده حقاً.

ووجدت ساره نفسها تحدق بها ذعر بارد، وكأنما تنظر إلى كابوس يشتد عمقاً. لم يكن لديها فكرة أن مارك عنده شقيقة، ولا أن ديكي متزوج. وبدت هيلاري لها ذكية جداً، ومرتدية ثياباً فاخرة وجذابة. ماذا يطلب ديكي أكثر من هذا في زوجته؟ وقبل كل شيء، كيف يستطيع الخروج مع فتاة أخرى، متظاهراً بأنه أعزب؟

ـ ولكن ديكي لا يريد الزواج مني سيدة غوردن.

ـ لا أهتم بهذا! إنه شأنك! كل ما أريده الطلاق!

وأمسك مارك بذراع شقيقته ووجهه شاحب وقال:

ـ هيلاري... لا أجد سبباً مرضياً لبقائنا هنا. من الأفضل أن نذهب. ستتحدثين مع ريتشارد حول هذا الأمر في الصباح، وسأرى الآنسة شاو شخصياً في المكتب. وأعدك أنها ستندم.

ـ كان يجب أن أعرف أنها تعمل معه في المكان نفسه.

وقامت ساره بجهد كبير لتتماسك، وحاولت مرة أخرى وحتى وهي ترتجف من الإدانة الصريحة على وجه مارك، وقالت:

ـ سيدة غوردن! آسفة لما حصل، ولكنك فهمت الأمر خطأ. فأنا وديكي مجرّد أصدقاء، وأقل من ذلك في الواقع.

وقاطعها مارك ببرود.

ـ وفّري أنفاسك فأنت تضيعينها سدى يا ساره.

ولم تقدر ساره أن تنظر إليه، ووجدت من الصعوبة أن تنظر إلى أي منهم. وتقدم مارك إلى جانبها فجأة وقال:

ـ تعالي آنسة شاو، سأوصلك. أظنك قد فعلت ما يكفي من الضرر هنا. من الأفضل أن نترك ريتشارد ليتمالك نفسه، وليقرر ما يريده حقاً، ومن!

وتوسّلت هيلاري إليه مديرة ظهرها لريتشارد وكأنها لا تهتم حقاً بما سيقرره، أو ما إذا كانت ستراه بعد الآن:

ـ مارك، دعني أذهب معك إلى بيتك أرجوك؟

ـ طبعاً يمكنك البقاء عندي. لهذه الليلة على الأقل، ولكن يجب أن نأخذ الآنسة شاو معنا. تفهمين ذلك.

والتقط دثار ساره عن المقعد، وتقريباً رماه لها ووجهه مقطب بالكامل، واستدار ليأخذ هيلاري نحو الباب، دون أن ينظر إلى ديكي الصامت تماماً، وتبعتهما ساره.

في اليوم التالي كانت الشمس مشرقة، عندما ذهبت ساره إلى مكتب مارك. لحسن الحظ كان قد أعطاها تعليمات في الليلة الماضية عن الوقت الذي ستأتي فيه إلى مكتبه، حتى لا يلاحظ أحد كما أدركت أنه يقصد. كانت قد أوشكت أن تقرر عدم العودة إلى العمل لتتجنب رؤية مارك بالمرة، ولكن كبرياءها منعها من ذلك. وكانت لا تشك في أنه سوف يطلب منها ترك العمل في الشركة فوراً، ولكن إذا قدرت على مواجهته للمرة الأخيرة ورأسها مرفوع، فقد يكون هذا تعزية لها في المستقبل.

وعندما اقتربت من مكتب مارك، كان وجهها قد أصبح مصبوغاً باللون الأبيض، وقد سرّت لأن الآنسة درو لن تكون موجودة، فهي لن تتحمل نظرات الإشفاق أكثر مهما كانت لطيفة. ولم تنتظر في المكتب



الخارجي بل قرعت باب مكتب مارك ودخلت فوراً.

وكان هناك، يجري مكالمة على الهاتف، لم يقطعها بل أشار لها بيده لتجلس. ثم وضع يده ليغطي سماعة الهاتف وقال بسرعة:

ـ أتوقع أنك تعرفين لماذا استدعيتك. ولكن قبل أن أرميك إلى الخارج هناك عدة أشياء أريد قولها، انتظري لحظة.

وكان هذا أمراً، وليس طلباً مهذباً، وشعرت بأطرافها ترتعد بشدة مما أجبرها على فعل ما طلبه منها، أقبلت بذلك أم لم تقبل. وأطرقت، محاولة عدم النظر إليه، ولكنها وجدت نفسها تنظر إليه، دون وعي منها، إلى كل خط محبب في وجهه. كان في قرارة نفسها اقتناع مخيف بأن هذه آخر مرة تنظر إليه. لقد انتهى كل شيء بينهما منذ الأسبوع الفائت. ولكن القدر هو الذي جمعهما معاً مرة ثانية. ولم تقدر أن تتحمل أكثر نظرة الغضب في عينيه وهما تحدقان بها. إذا كان يكرهها لهذه الدرجة، فلماذا عليه أن يكسر قلبها؟ الرجال... كلهم سواء. مارك وتصرفه القاسي معها في البيت الريفي! ثم ديكي، ومعاملته غير العادلة المماثلة لها. لا تزال مذهولة بكون ديكي متزوجاً! ألا يشعر الرجل بأنه مجبر على إبلاغ الفتاة بأنه متزوج؟ من كلا الرجلين، تصرف ديكي هو الأكثر ارباكاً، لأنها لم تكن تعتقد للحظة واحدة أنه يحبها، أو بأنه يسعى وراء علاقة من النوع الذي اعتقدت زوجته بوضوح تام أنهما مشاركان بها. بطريقة ما يجب أن تجعل مارك يفهم بأنها بريئة من أي شيء قد يؤذي شقيقته.

ـ حسناً آنسة شاو؟

ـ مارك... سيد فينويك! أدرك أنك غاضب.

ـ غاضب. ليست هذه الكلمة الصحيحة مشمئز هي الكلمة الأنسب. لقد كنت أعرف أن احساسي لم يكن مخطئاً فأنت في الحقيقة ساقطة! ولكني كنت بطيئاً جداً لأستفيد من وضعك.

ـ ماذا تعني؟

ـ هناك في البيت الريفي. وأنت تتظاهرين بأنك عذراء صغيرة وبسيطة بالكاد تعرف ذراعي رجل. ما أغباني!

ـ لم تكن راغباً بي على كل الأحوال.

ـ اعتبر نفسي بأحسن حال لأني تخلصت منك. الليلة الماضية في شقة «وايت» أدركت عمق مكرك.

ـ شقة من؟

ـ شقة ريتشارد وايت، بالطبع، صهري. من تعتقدين أنني أتكلم عنه؟ لا تقولي إنك تعانقين الرجال حتى قبل أن تعرفي أسماءهم؟

ـ ريتشارد وايت! ولكنني أعرف أن أن اسمه ريتشارد غوردن، منذ أن عملت في شركة استرو. بالتأكيد لم أعلم أن اسمه ريتشارد وايت.

ـ تعنين أنك لا تعرفين أن غوردن هو اسمه الثاني؟ وأن اسم عائلته وايت؟ ألم تسمعي به؟

ـ لا، على الأقل أتذكر أنني سمعت أن فتاة ذكرت اسم السيدة وايت، ولكنني لم أكن أعرف أن لك شقيقة. لو أنني كنت أعرف بأنها زوجة ديك أتظن أنني كنت سأخرج معه؟

ـ الأسماء لا تهم. قد تكون قصتك هذه مختلقة. لا تنسي أنني سمعت ريتشارد يقول إنه اخبرك بأنه متزوج.

ـ لا أدري لماذا قال هذا. إنها ليست الحقيقة.

ـ وما يبرهن لي أنك تقولين الحقيقة؟

ـ أنا لا أكذب.

ـ حاولي أن تقولي هذا للقاضي! أنت لا تمانعين في أن تكون قضية الطلاق علنية؟

وسرى الرعب في جسد ساره حتى أنها قفزت لاهثة على قدميها وصرخت بجنون.

ـ أوه.. لا! مارك... أرجوك يجب أن تصدقني! لا يهمني أن لا أراك بعد الآن، ولكني أقسم أنني لم أفعل شيئاً مع ديكي قد يعطي شقيقتك سبباً للطلاق.



ـ لقد كنت في شقته، وبين ذراعيه.

ـ كانت المرة الأولى، لكلانا. نادراً ما كنا نتقابل. طلب مني الخروج معه ليلة أمس. أنا... أظن أنه أثّر عليّ في لحظة ضعف، وكنت أفكر بك. لقد كان ينتظرني قرب النزل، وبدت لي لحظة لأرفّه بها عن نفسي. لم يكن مضى عليّ في الشقة اكثر من ساعة، لقد ذهبت إلى هناك لأني رأيته كئيباً إلى حد ما، وشعرت بالشفقة عليه.

ـ الشفقة عليه! دعيني أقول لك ان هذا الشاب يحصل على مساعدة أكثر من كافية، ومعظم مشاكله سببها غباؤه. أظن أن عليك تحويل شفقتك إلى شقيقتي.

ـ لقد اعتذرت لها. قلت انني آسفة.

ـ كلمات، مجرد كلمات آنسة شاو. بالكاد أن تصلح الضرر الذي حدث. عدت من مؤتمر أرهقني لأجد شقيقتي في حالة هيستيرية في غرفة الجلوس عندي بسبب زوج تزوجته منذ ست سنوات. ألا تظنين ان عندي مشاكل تكفيني، دون أن اضطر لتسوية مشاكل الأقارب، دون أن أذكر شيئاً عن أخلاق الموظفة الصغيرة الخليعة؟

ـ قلت لك انني لم أكن أعرف!

وانهمرت الدموع على خدي ساره، ولكنها لم تأبه لها. كانت تقف قريباً من مارك، وشعرت أنها لا تهتم بأي إنسان أو أي شيء بعد الآن. ولو لم يكن من أجل عمها وزوجته وذكرى والديها لاستدارت ولاذت بالفرار. لأجلهم لا تريد لاسمها أن يتمرغ في الوحل، خاصة وأنها لم تفعل شيئاً تستحق عليه ذلك.

ـ أرحوك سيد فينسوبك. يجب أن توقف هذا الطلاق. ولكن كيف عرفت شقيقتك أنني كنت في الشقة؟

ـ لا تقلقي، لم أخبرها أنا. لقد عادت فجأة من منزلها في الريف وذهبت فوراً إلى الشقة. وعندما وصلت سمعت الموسيقى وصوت امرأة، وطبعاً أتت إليّ، لقد كانت مستاءة جداً.

ـ أنا آسفة. كم يجب أن تكون تعباً من بكاء النساء.

ـ أنا تعب فعلاً.

ـ وماذا ستفعل؟

ـ تستطيعين العودة إلى بلدك آنسة شاو، وسأفعل ما أقدر عليه. وما سأعانيه سيكون شأني. ولكن إذا أردت التعويض عليّ، لا تدعيني أرى وجهك ثانية، هنا أو في أي مكان.

ـ ألن تصدق أبداً أنني بريئة؟

ـ لقد قلت لك ماذا أصدق، هناك اسم معيّن للفتيات من أمثالك؟

وفجأة ودون أن تستطيع السيطرة، طارت يد ساره ووقعت على جانب وجهه الساخر، ودوت الصفعة في المكتب الساكت.

ـ أوه. يا إلهي!

وارتدت أصابعها المرتعدة إلى شفتيها البيضاء. وبعد لحظة كانت بين ذراعيه. لم تستمر سوى بضع ثواني، ولكن كانت كافية لأن تجعلها تصاب بالدوار وقد هزّتها الصدمة، بعد أن تركها، وأدرك مارك أنه قد تمادى كثيراً، فعندما تركها ولاحظ اللون الشاحب في وجهها، علقت عيناه بها للحظات طويلة متوترة. ولم تلاحظ ساره نظرة الاهتمام التي رمقها بها وهي تكافح للتغلب على الدوار الذي كاد يغلب عليها وسمعت مارك يقول:

ـ يبدو أنك تجتذبين المشاكل يا ساره. سأحضر لك من يوصلك رأساً إلى النزل. وسأفعل كل ما أقدر عليه لأجل هيلاري وريتشارد ولكن أريدك خارج لندن، أو أعدك بالعذاب.

ـ لا أريد مساعدة منك، مارك.

ـ ربما لا، ولكن من الأفضل أن تكوني مستعدة لتلقيها!

وكانت هذه آخر مرة شاهدته فيها منذ ما يقارب الثلاث سنوات. أحياناً كانت تشاهد بعض صوره في الجرائد، ولكنها كانت تتجاهلها، متمنية أن تنسى، أو على الأقل أن تتغلب على الألم الذي استمرت تشعر به عندما كانت تفكر به.



بعد أسبوعين من مغادرتها لندن استلمت رسالة تؤكد لها أنها لن تتورط في أية قضية طلاق. ولم تعد تسمع عنه شيئاً بعد ذلك. وكأنما مرت ممحاة فوق بضعة الشهور التي أمضتها هناك وكأنها لم تكن. قالت لعمها وزوجته ان لندن لم تناسبها. وأنها حنّت إلى منزلها ورغبت في الرجوع. أكاذيب صغيرة لم تكن فخورة لأن تقولها، ولكن ماذا تستطيع أن تفعل غير هذا؟

لم تستطع النسيان ابداً، كم كانت لوريتا ورينيه لطيفين معها خلال الأسابيع الأولى. وساعداها في الحصول على وظيفة. وبدأت العمل في مؤسسة جورج دنت، المتوسطة الحجم للكيميائيات، وساعدها على ذلك مذكرة التعريف الصغيرة التي أرسلها مارك. في عملها الجديد كانت ناجحة أكثر مما أملت، لأنها كرّست نفسها بالكامل تقريباً لهذا العمل، وهي لا ترغب في شيء سوى الانغماس في العمل. لم تتذكر أبداً أنها عملت لوقت طويل أو بجهد هكذا من قبل، أو أنها كسبت تقديراً كانت تشعر أنها قد لا تستحقه.

الآن، وبعد ثلاث سنوات، وقد أوشك عمرها أن يصبح ثلاثة وعشرين تقريباً، يبدو أنها ستلتقيه ثانية، ولو أنها في البداية صدمت وارتعبت تقريباً، فقد بدأت تدرك أن هذا هو أفضل شيء من الممكن أن يحدث. ألم تقرأ في الروايات عن أوضاع مماثلة؟ الناس غالباً ما يجدون أنهم بعد ابتعادهم عن شخص ما لعدة سنوات، لم يعودوا يحبونه.

ألم تتعب بعد من الاستمرار في الحياة وهي تشعر أنها نصف شخص؟ ونهضت من تحت الماء التي أصبحت الآن باردة، وهي ترتجف. وأمسكت بالمنشفة السميكة الناعمة وجففت نفسها بقوة، فلتساعدها السماء!

بعد شهر وصل مارك فينويك. وأعلن جورج عن وصوله وعن راحته عندما ينتهي كل شيء. وقال أيضاً انه سعيد لأن مارك لم يكن رجلاً يميل إلى أن يريه أحد كل الخيوط.

ـ يجب أن يكوّن انطباعه الخاص ويعمل على أساسه، بدءاً من المعلومات الأساسية.

وكان جورج موجوداً لاستقبال المسؤول الجديد في أول يوم له. وتنهدت سارة وهي تلاحظ التعابير القلقة على وجوه العديد ممن مرت بهم في المكتب، وكلهم يتساءلون، مارك يجب أن يكون الآن هنا، هل يكون لم يصل بعد، أم أنه أرسل شخصاً آخر مكانه. المكاتب هنا واسعة. ولكنها لا تضاهي الأماكن الزجاجية والستيل في لندن حيث يمتلك مارك التفوق هناك. لا تفهم لماذا عليه القدوم إلى هنا، إلا إذا كان هذا يشكل له تحدياً. وهو لا يقدر أبداً أن يقاوم التحدي! كانت لا تزال تفكر عندما فتح جورج باب مكتبه وسمعت صوته يقول لها:

ـ آه... آنسة تشاو، لقد وصلت! سيد فينويك أحب أن أعرفك بسكرتيرتك الجديدة، الآنسة تشاو! أعتقد أنك ستجدها لا تقدر بثمن، كما أشرت لك سابقاً.

وهكذا، وفي النهاية، لم يكن أمام سارة طريقة لتجنب اللقاء الذي تخوفت منه لأسابيع. وارتجفت أصابعها بوضوح وهي تقف باعتدال وأصبح وجهها شاحباً بشكل مخيف عندما تلقت التأثير الكامل لعيني مارك فينويك الغامضتين.



# ٧ ـ لا أريدك هنا!

عندما أدركت سارة أن مارك كان يقف بالفعل ينظر إليها، وهي تعبث بشريط حذائها لتربطه، شعرت أنها غبية مثل أي فتاة تضبط وهي تفعل الشيء نفسه، من قبل شخص له هذه الأهمية. ثم فجأة وبشكل مندهش، كل المشاعر داخلها بدت وكأنها اختفت، ليحل مكانها تحذير حس مريح. كان حقيقياً بحيث أنها شعرت لو أن أحداً ينخزها بدبوس فلن تشعر به. ومهما حدث بعد ذلك ستظل دائماً مسرورة من كيفية معالجتها لهذا اللقاء الأول، والأكثر أهمية بالطبع، بمثل هذا التوازن.

وابتسمت سارة له. حتى آخر لحظة كان كل ما يحميها من مارك فينويك، لا مبالاتها الشخصية. وعندما التقت عيناها بعينيه لم تشعر بأي ارتعاش داخلي. حتى أنها لم تكن قادرة من قبل أبداً على التحديق به ولو بجزء من مثل هذا الاتزان. واستنتجت فوراً أنها شفيت تماماً من افتتانها القصير به. عينا مارك كانت مستغربة تماماً، ومد يده بأدب بينما كان جورج يقوم بالتعارف بينهما. وعندما سأله جورج عما إذا كان يذكر أنه التقى بسارة من قبل، أجاب باختصار أنه قد قابلها. وتابع.

ـ لقد كنت تعملين في شركة «استرو كاميكالز» في لندن، آنسة شاو؟

ـ نعم.

ـ لم تبق معنا مدة طويلة؟

- بضعة أشهر.

وكأنه لا يعلم! وتابعت.

- لم أكن أظن أنك ستذكرني؟.

وتدخل جورج قبل أن يجيب مارك.

- الرجال في مثل مراكزنا، لا ينسون وجهاً يا سارة.

ولم يقل مارك سوى القليل بعد ذلك ولكنه استمر في التحديق بها عن قرب أكثر. ربما كان يتساءل، كما ظنت بمرارة، لماذا عليه أن يتحمل فتاة كانت السبب في تحطيم زواج شقيقته. ربما كان قد بدأ يدرس كيفية الخلاص منها، أو كيفية معاقبتها أكثر. ولم يكن لدى سارة أي شك أن الأمر بالنسبة له انتقام ينوي أن يتعامل به. لو كان عنده أي مشاعر نحوها، ما عدا الكراهية، أما كان اتصل بها منذ زمن بعيد؟ وسألها بضعة أسئلة كلها حول العمل، ولا سؤال واحد كان سؤالاً شخصياً ولو من بعيد.

لما تبقى من النهار كان مارك منشغلاً مع جورج في المكتب الرئيسي بمراجعة العمل. وعند الخامسة والنصف، وبينما كانا يقابلان بعض الموظفين، قررت سارة الذهاب إلى منزله. لو أن الأمر يتعلق بأي شخص غير مارك، لما غادرت العمل دون سؤال. ولكنها تعتبر أنها قد عملت بما فيه الكفاية ليوم واحد.

في الوقت الذي كانت فيه لا تزال مرتاحة لأن أعصابها لم ترهق لدى مقابلتها مارك مرة ثانية، لم تكن هذا المساء واثقة من نفسها كان رأسها يؤلمها، وعبر كل جسدها كانت تشعر بضعف يغمرها. كان هذا يشبه الصدمة المتأخرة. ولكنها صرفت عنها هذه الفكرة. فمارك لا يمكن أن يملك تلك السلطة عليها ليؤثر عليها الآن، وخاصة لأنها لم تكن تهتم به.

لسوء الحظ هذا الاستنتاج لم يمنعها من التفكير به لما تبقى من الليل. ولا فائدة من خداع نفسها بأن القلوب لا يمكن أن تخفق بقوة هنا كما كانت في لندن. كان سيمضي الليالي القليلة التالية في منزل جورج



الريفي خارج المدينة. وقال جورج ان التسلم والتسليم الفعلي سيستغرق وقتاً أطول مما كان يظن. ولكن من المريح أن تعلم أن جورج سيبقى معها كصمام أمان حتى تتعود على وجود مارك.

خلال الأسبوع التالي نجحت سارة في أن تبقى بعيدة اضافة إلى اثبات جدارتها. ولم تكن تدري لماذا من المهم لها أن تبقى بعيدة عن مارك، ولكنها، ولأجل كرامتها جاهدت لاقناعه بجدارتها. في لندن لم تكن سوى موظفة صغيرة ولم تعمل معه من قبل. أما الآن فهي سكرتيرة فائقة الجودة، وكانت تقنع نفسها تكراراً كل صباح أن هذا هو المهم. على كل الأحوال كانت لا تزال محتفظة بقرارها السابق بترك العمل بأسرع وقت ممكن.

عند نهاية الأسبوع الثاني تقريباً، وبينما كانت عائدة لتوها من أحد الأقسام، فتح باب المكتب الرئيسي ووقف مارك عنده.

- اوه! هل تطلب شيئاً آخر سيد فينويك؟ كنت على وشك الانصراف. ربما سيد دنت.؟

- أعتقد أنك كنت في مكان ما، والا اعرفت أن جورج ذهب.

- آه فهمت. ربما تنوي أن تغادر أيضاً؟ يبدو أن الطقس يسوء والأمسية ليست مرضية.

- سأبقى وقتاً طويلاً هنا. أريد أن أحدثك قبل أن تذهبي. خاصة أن جورج الآن لا يقف بيننا مثل الوالد الذي يبالغ بالحماية.

- أنا واثقة أنه لا يقصد هذا، لا يمكن أن يكون هناك شيء نتحدث عنه لا يمكنه الاستماع إليه.

- بالطبع لا، ليس هناك شيء أرغب في قوله وأعارض أن يسمعه جورج.

- آسفة.

وأضطرت للجلوس على الكرسي الذي سحبه لها. ورمشت بعينيها غير مصدقة عندما اختار الجلوس أمام مكتبه بدلاً من ورائه. وبطريقة غريبة شعرت أن لديها الكثير لتقوله له. لا حول قناعتها بأنهما يتشاركان

الموقف نفسه من بعضهما خاصة وأنه لم يحاول الاتصال بها طوال ثلاث سنوات، بل ترى أن الفرصة قد حانت لمواجهته بغضب. وتمنت أن لا يكون مارك قد سعى إلى مقابلتها من أجل هذا الموضوع. قد يكون الأمر حول العمل فقط. وحدقت به بترقب ولكن دون أن تتمكن ممن تحمّل تفحصه الدقيق غير المتوقع، فأشاحت بنظرها عنه.

وانتظرت، وأصابعها متشابكة بقوة، وبصمت مطبق، أن يبدأ هو الكلام.

ـ في احدى اللحظات ظننت أن كل أثر لسارة قد اختفى، إلى أن شاهدت ارتعاش الاضطراب في عينيك. لاحظت هذا بسهولة أكثر مما الاحظ المظهر المزيف العدائي الذي تتظاهرين به منذ وصولي.

شيء ما حذر سارة بأن تتمالك نفسها، وأنها إذا بقيت هادئة فكل شيء سيكون على ما يرام. ورفعت رأسها بكبرياء. وساعدها هذا، حتى ولو لم تقدر على لقاء نظرته.

ـ لم أقصد أن أكون غير ودودة، سيدي، إذا كان هذا ما تعني. لقد تعلمت الكثير في ثلاث سنوات، وعملت جاهدة لأبرهن أنني قادرة أن أكون سكرتيرة جيدة. السيد دنت يعتقد أنني نجحت بعملي بتفوق. وهو يريد مني أن اقنعك بهذا، ولكنني أعتقد أن الأمر سيستغرق وقتاً.

ـ كم مرة حفظت هذا الخطاب الصغير المتعقل؟ أعندك فكرة كيف تبدين؟.

ـ الحقيقة سيدي...

ـ يا إلهي... سارة! ألا يمكن أن يكون بيننا شيء غير رسمي قليلاً؟ أشعر أنني أتحدث مع آلة!.

وارتجفت، وحاولت أن لا تنظر إلى وجهه الأنيق القاسي.

ـ أحب أن أبدو هكذا، أثناء ساعات العمل.

ـ وخارج ساعات العمل؟.

ـ أنا... حسناً لا لزوم لك لتشغل نفسك بحياتي الخاصة، سيدي!.



التركيز الذي شددت فيه على الكلمة الأخيرة كاف لهزيمته، ولكنه استرد أنفاسه بسرعة وقطب حاجبيه.

ـ لقد سألتك سؤالاً آنسة شاو. وسأقرر أنا ما سأهتم به.

ـ وإذا كنت غير مستعدة للرد؟

ـ في هذه الحالة، أعلم بكل بساطة أن عندك شيئاً تخفيه.

وهجرها بعض هدوئها للحظة وقالت بسرعة:

ـ لا أستطيع التفكير لماذا يجب أن تكون مهتماً بما أفعله في وقتي الخاص.

ـ هذا يتوقف على ما تعنيه بكلمة مهتم، يا آنسة شاو. من الممكن أن أبدي ملاحظة مؤدبة، ولو غير مقدرة، لسكرتيرتي الجديدة. كيف تتصوري أن ننجح بعملنا معاً اذا استمريت بهذه العدائية؟ بالتأكيد أن بامكاننا التحدث معاً بشكل ملائم أكثر. يا سارة؟ ألا تستغنين عن شعورك المريض بعد كل هذه المدة؟

لم تكن متأكدة عما يعنيه تماماً بهذا القول. ونظرت إليه بريبة، وكأنها مخلوق صغير هش، يتعرض للخجل عند أول إيماءة خاطئة. لم تكن متأكدة عما يتحدث، ولكنها تعلم أنها لا تنوي أن تؤذى مرة ثانية.

ـ لا أعتقد باننا كنا صديقين حميمين من قبل سيد فينويك، فاذا كنت ستنبش الماضي، فبالنسبة لوظيفتي أود أن أتركها بأسرع وقت ممكن. لقد قلت للسيد دنت انني سأبقى، ولكنني أدرس الأمر جيداً منذ ذلك الوقت. أفكر بالتقدم بطلب وظيفة في الخارج. من الغباء التفكير بأن أبقى في مكان واحد طيلة حياتي.

ـ فهمت. ولكن طالما أنت متأكدة مما تريدينه فعلاً. إذا قدمت لي المذكرة المناسبة سأتخذ خطوات لاستبدالك. أستطيع أن أفعل هذا بكل سهولة. ولكنني سأكون ممتناً لو بقيت بضع أسابيع أخرى حتى أستقر تماماً. هل هناك جزء معين من العالم تريدين رؤيته؟.

ـ أنا... نعم أميركا، ربما نيويورك.

ـ هكذا إذاً، لوحدك؟

- بالطبع.
- إذاً هذا يعني أنه لا يوجد أحد قد تترددي بتركه. خطيب مثلاً؟.
- لا، ليس بعد. تستطيع الفتاة أن تخرج، دون أن تتورط جدياً.
- هل تتمتعين بالمرح؟
- أجل...
- كيف تصفين هذا المرح الذي تحصلين عليه بالضبط آنسة شاو؟
- في الحقيقة سيد فينويك، أنا متأكدة أن نشاطاتي الاجتماعية التي لا تثير الاهتمام نسبياً، لا يمكن أن تهمك. فلديك نشاطات أكثر إثارة. إذا كان هذا كل شيء، سيدي، أعتقد حقيقة أن عليّ الذهاب.
- بالطبع. تبدين وكأنك محصورة في نوع من الجزر، آنسة شاو، وعزلتك تبدو تامة، أم أنني الشخص الوحيد الذي لا يجد طريقه إليك؟
- عمت مساء يا سيدي.

لم توقف لتستنتج ما إذا كانت هذه إهانة أم لا. فمارك كان دائماً مليئاً بالغموض! ولم تلاحظ بأنها كانت ترتجف حتى وصلت إلى موقف الباص. وخلال الطريق إلى الفندق كانت تشعر بشعور غريب، وبشكل ما لم تربط هذا الشعور، أو لم ترد، بمارك. لماذا استدعاها إلى مكتبه؟ ربما كان عليها أن تنتظر لتعرف بدل التسرع بالمغادرة، ولكن عندما كانت هناك، لم يسألها ذلك النوع من السؤال الذي كانت تتوقعه. بالطبع لم يحاول استبقاءها مدة أطول عندما همت بالخروج. وعندما وصلت الفندق، أخذت المصعد إلى الطابق العلوي، واتجهت بسرعة إلى غرفتها الصغيرة لتغير ملابسها، وارتدت ثوباً آخر بسرعة دون أن تنتظر لتتحمم، ومشطت شعرها وهي تلعن مارك لأنه أخرها وهرعت عائدة إلى المصعد. عمها رينيه وزوجته لوريتا كانا في لندن. ولم ترد أن تخذلها وخاصة لأنهما بعيدين.

وما ان وصلت إلى طاولة مكتب الاستقبال حتى دخل مارك. ولم يدخل لوحده بل تبعه أحد الحمالين يحمل حقيبتين كبيرتين. ولم تدرِ إذا



كان مندهشاً لرؤيتها كما اندهشت هي لرؤيته. وتقدم رأساً نحو مكتب الاستقبال. وتوقف أمامها وتطلع بها مباشرة:

- هل لي أن أسأل، هل تعملين هنا أم أن انطباعي خاطىء؟
- لا، اني أقدم المساعدة احياناً مقابل أجرة غرفتي.
- فهمت حسناً آنسة شاو، إذا كنت هنا لتقديم الخدمة، ولست مشغولة، فهل تستطيعين مساعدتي. أنا متأكد أن هذا يسعدك! لقد حجزت غرفة، جناحاً لأكون دقيقاً، وأرغب أن يرافقني أحد إليه بأسرع وقت ممكن.

وأخذت ساره نفساً عميقاً. واتسعت عيناها وهي تفتش بعجل في دفتر التسجيل الذي يحتوي على الحجوزات. أجل هذا هو، السيد مارك فينويك، لا مجال للخطأ. لقد حجز جناحاً في الطابق الثاني، أفضل جناح لديهم. هذا غير ممكن، يجب أن تستشير شخصاً ما!

- آنسة شاو، لقد أثبت خلال الأيام الأخيرة انك قادرة على العمل بسرعة عندما تريدين. وأنت لا تتوقعين مني أن أقف هنا طوال الليل.

ولم يزعج نفسه بإخفاض صواته، وأقبلت رئيسة قسم الاستقبال. وبشكل ساحر تولّت أمر الوضع:

- رقم ثمانية وثلاثون، سيدي. كنا نتوقع قدومك.

ومررت المفتاح للحمال المنتظر وبعدما وقع مارك على دفتر الاستقبال أشارت إليه بأدب.

- جينغز سيوصلك إلى جناحك إذا كان هناك شيء تود طلبه اتصل بنا، سيدي. فلدينا خدمة للغرف ممتازة.
- شكراً لك.

وابتسم لها مارك ابتسامة ساحرة، بينما كانت ساره تقف متجمدة. وقالت لها الفتاة وهي تتنهد:

- يجب أن أقول لك يا ساره، لم تكوني ذكية كفاية. من النادر أن يأتي إلينا شخص مثله. لن أمانع في خدمته بنفسي!

ـ أوه.. اخرسي يا بتي!

وشعرت ساره أنها ستصرخ، والذعر يتصاعد بداخلها، ثم اعتذرت، أمام وجه بتي المذهول.

ـ آسفة لا أعرف ماذا دهاني.

ـ أفضل لك أن تكتشفي ماذا دهاك يا عزيزتي، وإلا قد اعتقد أن الأمر له صلة بضيفنا الجديد؟

ـ لا تكوني بمثل هذا الغباء!

وابتسمت لها ساره، ووقفت تتساءل ماذا تستطيع أن تفعل الآن. من الواضح أن مارك لديه كل التصميم ليبقى، وتصرفت كشخص مغشي عليه دون أي اعتراض. وتصاعدت الهستيريا، بشكل لم تعرفه من قبل إلى حلقها. إنها لا تريده هنا، حيث ستلتقي به في كل زاوية! وإذا بقي، سيتبع ذلك أن يكتشف كل شيء عنها، وأنها، من ضمن أشياء أخرى، ليس لديها النية للسفر إلى الخارج أو إلى أي مكان آخر! والأسوأ من هذا قد يتسبب بتدمير راحة بالها الجديدة التكوين. كان لديها شك رهيب، وخاصة بعد مقابلتها بعد ظهر هذا اليوم، بأنه سيفعل هذا بسهولة من جديد.

ما حيّرها، كيف وصل إلى هذا الفندق بالذات. لا تعتقد أن جورج اخبره لأنه نصحها بأن لا يعرف مارك أنها تعمل وقتاً إضافياً في الأمسيات. ولا يمكن أن يكون مارك يعرف أن الفندق ملك عمها لأنه لم يسألها من قبل أو بدا أنه يميل إلى الحديث عن اقربائها، إضافة إلى ذلك، في الفندق، يشار إلى عمها دائماً باسم «مسيو رينيه» كـ«عاية جيدة، أو على الأقل هكذا كانت في البداية، واستمرت العادة. لا، لا بد أن مارك اختار الفندق عشوائياً. ولكن.... قبل أن يدمر كل شيء يجب أن تتخلص منه!

وبشكل ما تجاوزت الساعة، والتفتت إلى بتي.

ـ لقد انتهى عملي الآن، وها هي دورين وصلت. وستكون معك بعد دقيقة.



فندق «الكريتاريون» بسجاده السميك وفرشه الفخم، لم يكن ذلك النوع من الفنادق حيث يركض فيه الناس بشكل غير ملائم، لذلك ارتفعت بضع حواجب أنيقة لرؤية سيدة شابة وجذابة تركض عبر الممر في الطابق الثاني. ولربما كان ما سيدهشهم أكثر رؤية كيفية تصرف هذه السيدة الشابة خلال البضع دقائق التي تلت

يقع جناح «أويستر» كما يدعي ليشير إلى شيء أبعد من العادي، على بعد قليل من المصعد، ودون أن تتوقف لتعيد النظر بما ستفعله، أرعدت ساره طرقاً على الباب. ودون أن تنتظر دعوة للدخول فتحت الباب واقتحمت الجناح.

كان مارك يقف في غرفة الجلوس، يحمل كأساً في يده. وكان قد انتزع سترته، ويحدق بالباب، وتقطيبة ضيّقة على جبينه وكأنما يتشوق لمعرفة من احدث هذه الضجة كي يدخل. وصرخت ساره به وهي ترتجف.

ـ لماذا لم تجب؟

ـ هل هذه هي الطريقة المعتادة التي تعاملون بها ضيوفكم في فندق «كريتاريون»؟ هل من عادة موظفة استقبال اقتحام غرفة نوم رجل والصراخ في وجهه، هل هذا ضمن الصفقة؟

هذا الكلام أصاب رأس ساره وكأنه الماء البارد. ربما لديه شيء هام ليشتكي منه، ولكنها لم تشعر في حياتها أبداً أن مشاعرها ثائرة هكذا، من المؤكد أنها لم تفقد السيطرة على أعصابها هكذا من قبل، لا إلى درجة تتصرف بها بهذه الأخلاق الفظة. وبسرعة، وقد رنّ صوت إنذار صغير في رأسها، حاولت أن تكون أهدأ.

ـ إنها ليست بالضبط غرفة نومك يا مارك، وإذا بدوت محتاجة قليلاً فلدي سبب وجيه لذلك. لا يمكن لك أن تبقى هنا، ولا يجب عليّ أن آتي إليك لأعلمك بهذا.

ـ أوه، ألا أستطيع البقاء؟

ـ لا!

وأقفلت الباب خلفها قبل أن تتقدم نحوه وتحدق به بعينين واسعتين مخيفتين. ودون وعي منها انخفض صوتها ليصبح كالهمس.

ـ أنت تعلم أنك لا تستطيع يا مارك، فأنت مديري!

وضحك ضحكة من لا يصدق بينما أخذت نظراته تتفحص وجهها.

ـ هذا ليس بالعذر الجيد يا ساره، كما أخشى! من الأفضل أن تجربي عذراً آخر.

ـ كيف عرفت أنني أسكن هنا يا مارك؟

ـ لم أكن أعرف.

ـ لم تكن تعرف؟

ـ هل يجب عليك أن تكرري كل شيء يا ساره! يبدو أنني أذكر أنها عادة عندك. إذا كنت مصممة أن تعرفي، فأنا أذكر أنك أعطيتني هذا العنوان لأكتب لك. لذا قررت إذا كان الفندق لا يزال يعمل، سيفي بالغرض كما أي فندق آخر، للبقاء بضعة أشهر.

ـ بضعة أشهر! . . . وكاد قلبها يتوقف.

ـ ها قد عدت لعادتك ثانية!

واستمرت ساره تردد فقط كما يفعل الببغاء «بضعة أشهر!» «بضعة أشهر!».

ـ ليس أكثر، وربما أقل أؤكد لك، إذا أكملت ما جئت من أجله في وقت قصير.

ـ اعلم تماماً ما شعرت به من أجلي عندما غادرت لندن.

ـ هل عرفت يا ساره؟

ـ لم تجعل الأمر سدىً. ألا ترى كم أن هذا الوضع مستحيل. وكأنما لا يوجد فنادق جيدة غير هنا في هذه البلدة. كيف استطيع البقاء هنا والعمل هنا بشكل جيد، وأنا أعلم أن ليس هناك من راحة لي من كراهيتك!

ـ ألا تظنين أنك تبالغين بكل شيء يا ساره. لا أذكر أنني استطعت



كراهيتك لأكثر من خمس دقائق في وقت واحد. أنت تثيرين أعصابي ولكن ليس كراهيتي.

واستدارت بغضب، فوضع يده على كتفها وأدارها نحوه.

ـ أنا لا أحب أن أتحدث إلى ظهر أي كان، وخاصة أنت.

وأحسّت بيده على كتفها وكأنها جمرة نار واهتز صوتها:

ـ أنت تعلم انني لا أبني من حبة الرمل جبلاً. كنت مسؤولة عن التسبب لشقيقتك بكثير من التعاسة، واعلم أنك لا تستطيع أبداً أن تسامحني. لقد قرأت عن طلاقها على اساس عدم التوافق. وأعتقد أنك أنقذتني من التورط، ولكنني أعرف أنك تلومني.

ـ كم توصلت إلى الكثير من الاستنتاج. صحيح، أنها وريتشارد تطلقا، ولكن كلاهما تزوج مجدداً وهما سعيدان بشريكيهما الجديدين. شقيقتي تعيش في الخارج ولا أشاهدها إلا نادراً، صدقيني، تستطيعين التوقف عن القلق.

ـ ومع ذلك لا أقدر على تغيير الوقائع الأساسية. ربما تزوجت أنت أيضاً منذ غادرت لندن؟

ـ لم أتزوج بعد. ولكني آمل ذلك. وقريباً جداً في الواقع لا أعرف كيف أجبر نفسي على الانتظار.

ـ أوه!

وكان هذا كل ما استطاعت أن تقوله، ولم تستطع الاستمرار. إذاً هناك فتاة ما؟ كان يجب عليها أن تخمن. وللحظة، وبينما عيناها مغلقتان على الألم، شعرت بنفسها ترتجف. كانت كمن تقع إلى هاوية من الظلام، وقد أصيبت بالصدمة، وصرخت به.

ـ وهذا سبب آخر لعدم بقائك هنا!

وشد بيده على كتفها، وكأنما يتمتع بالرعدة التي تسري إلى يده.

ـ لو أنني أقدر على فهم واحد من أسبابك يا ساره، فقد أعيد النظر لأفعل ما تقولينه، ولكن إلى أن تختاري اعطائي سبباً مقنعاً، أخشى أنني سابقى. ولماذا لا؟ فجناحي مريح جداً.

وعندما سقطت يده عنها واستدار، أمسكت بذراعه وقد اشتعل بها الغضب. ألم يعرضها لما يكفي من الألم في الماضي حتى يعرضها للمخاطر ذاتها مرة أخرى؟ يجب أن لا يشعر بما تشعر به، ولكن يجب أن يفهم أنه مدين لها بشيء ما. وتعلقت بذراعه وقالت:

ـ سيد فينويك، لا تستطيع البقاء! لن أدعك تفعل. أنا...

مهما كانت ستقول انقطع فجأة وهو يسحبها قريباً منه.

ـ يا حمقائي الصغيرة، هل انتهيت من كلامك؟ استمعي إليّ فقط كشيء من التغيير، ساره شاو. لقد اكتفيت منك ومن سيدفينويك ويا سيدي لما يكفيني العمر كله، ولا أظن أنك منيعة إلى الدرجة التي تحبين أن أصدقها. إذا كنت ستشعرين أفضل، فأنا راغب في الاستمرار كما أنا حتى الان. ولكنني أريد أن اقتنع بأنك نسيت كل ما شعرت به بين ذراعي. لم تكوني أبداً نافرة من عناقي، وأنا انتظر منك أن تدعيني كاذباً!

وتوقف قلب ساره، ثم عاد الى الاسراع بينما كان الغضب يفعل فعله على وجهه، وذراعاه تشدان عليها بألم. كل عضلة في جسده بدت وكأنها تتصل بعضلاتها، وتجبرها على التجاوب بدت انها عاجزة عن منعه. عرفت أنه يتوقع منها انكار ما يقوله ثم بعد أن تنكر، يوقع عليها العقاب الملائم. وبعناد، ولأنها لم تستطع قول شيء، بقيت صامتة.

ـ أعلم انك لا تستطيعين النسيان بسرعة، يا ساره.

ـ ليس بهذه السرعة! لقد مضت ثلاث سنوات! ولماذا عليّ أن أتذكر أي شيء عنك، بينما آخر شيء دعوتني به كان «ساقطة»!

ـ أيؤلمك هذا؟

ـ لا.... فلم... حسناً ولم لا، وخاصة عندما اعتقد أنني لا استحق هذا. لم أكن كبيرة كفاية...

ـ ولكنك كبرت الآن. وأصبحت قادرة، كما يبدو لي، على محاربتي فوق أرضي. احذرك، إذا كان هذا ما تريدينه لن يكون الأمر سهلاً لك



هذه المرة. ومع ذلك فأنا مستعد للقيام ببعض التنازلات.

ـ أنت لا تتنازل أبداً!

ـ أتظنين العكس؟

وقبل أن تحزر ما ينوي فعله تسللت يده إلى شعرها وأمسك خصلة من شعرها الحريري. واجتذب رأسها إلى الخلف. فوراً وبإنذار كامل بدا كيانها وكأنه اشتعل، وارتجفت تحت وطأة شعور تتذكره، تسارع مندفعاً إلى كيانها، كموجة عاتية، وكأنما جسداهما كانا مدركين لهذا التجاذب ولكن عقليهما تجاهلاه. وقال لها ببرود وهو ينظر إلى ساعته:

ـ لحظات مثل هذه، توفر ساعات من الجدل، وتحقق الهدف نفسه. كنت أحب أن أبقى معك أكثر ولكنني مرتبط بموعد للعشاء لا أريد تفويته لذا اعذريني آنسة شاو....

إذا بدت الجولة الأولى له، فإن دورها سيأتي! ووجدت ساره نفسها طوال تلك الليلة من السهاد، تقسم على ذلك ثانية وثانية، وفي الصباح التالي كان هناك ظلال سوداء تحت عينيها، ونظرة منكسرة لم ترها منذ ثلاث سنوات، وكم كانت تأمل أن لا تراها أبداً. وبسرعة وضعت احمر الشفاه، وأسرعت إلى غرفة طعام الموظفين حيث يطيب لها تناول الطعام عندما يكون عمها وزوجته غائبين، وكانت ترتشف لتوها فنجان شاي عندما دخلت بيتي.

ـ صباح الخير ساره! كان يجب أن تشاهدي تلك المرأة التي اصطحبها ضيفنا الجديد إلى العشاء ليلة أمس. لقد قطع جمالها أنفاسي!

ـ ضيفنا الجديد؟ أتعنين...؟

ـ السيد فينويك الوسيم. لو أنك رأيت تلك الجميلة التي كانت معه، إنها تلك... ماذا يدعي... الجاذبية ويا لها من جاذبية!

كان ذلك الصباح في المكتب رقيقاً. وكان يزداد رقة يوماً بعد يوم. كانت متأكدة أن مارك يستطيع إدارة العمل هنا وعيناه مغمضتين، وانه خسارة بهذا المكان. السبب لقدومه الى هنا كان يصبح اكثر وضوحاً، أو على الأقل جزء من السبب. فتلك الفتاة السمراء قد تكون هي

نفسها الجميلة ذات العينين السوداوين التي نشرت الصحف صورتها معه في فنزويلا منذ ثلاث سنوات. ربما تكون ممثلة أو مغنية وبما أنها موجودة في لندن لعدة أسابيع لذا قرر مارك الاستفادة من الفرصة، وتسلُّم شركة جورج وفر العذر المثالي، كي يتعرف الى الفتاة اكثر دون ملاحقة الصحافة لهما، كما يوفر له العذر حتى لا يلزم نفسه قبل أن يكون جاهزاً.

وخرج جورج من الشركة باكراً، وحوالي الرابعة اتصل بها مارك. وعندما دخلت مكتبه بدا فاقد الصبر قليلاً بسبب اتصاله الهاتفي الطويل مع المكتب في لندن.

ـ أتعتقدين أنهم قادرون على تدبير أمورهم من دوني لخمس دقائق فقط. ادخلي يا ساره، لا تقفي هكذا، بحق الله!

بعدما حدث في جناحه لم تعد ساره قادرة على النظر مباشرة إلى وجهه، دون أن يهتز قلبها وهي تتذكر ذراعاه القويتان وتقدمت داخل الغرفة وسألته:

ـ أتعجب لماذا لم ترسل شخصاً آخر يتولى الأمر هنا، سيدي، إذا لا يمكن الاستغناء عنك في لندن.

ـ ساره! إذا قلت، سيدي، مرة اخرى لن اكون مسؤولاً عما سأفعله. ولن أحذرك ثانية!

ـ آسفة.

وتطلع إليها مطولاً وعن قرب، لم يكن لديها خيار سوى الوقوف بينما هو يدرسها وجالت عيناه في كل أجزاء جسدها، من قمة شعرها القاتم الحريري إلى اسفل ساقيها الطويلتين الجميلتين، إلى قدميها الصغيرين المقوسين. وخوفها من ان يكتشف وهو يتطلع إليها كم لا يزال قادراً على التأثير عليها دفعها إلى الرد على نظرته. وقررت أن لا تمنحه فرصة ثانية لأذيتها، كما فعل في الماضي.

وأخيراً، بعدما كانت تتساءل كم سيطول الوقت الذي ستتحمله، تكلم.



ـ منذ الليلة الماضية، لم يكن لديّ الوقت الكافي لأعيد التفكير بشيء، أشك بالحكمة من وراء اشتغالك في وظيفتين. كيف تتصورين انك قادرة على العمل ليلاً نهاراً يا ساره، ومع ذلك تستمرين في إرضائي؟

# ٨ ـ صدمة في القلب!

وران الصمت في المكتب حتى تكاد أن تسمع رنة الدبوس. ساره كانت تتوقع أي شيء سوى هذا، وإلا لكانت حضرت رداً عليه. ومع ذلك وجدت الرد بسرعة، حتى ولو تحت تركيز عيني مارك الرمادتين المربكة، ولكن الجدال بينهما لم يكن ليساعدها في الحقيقة على أن تقول إن ما تقوم به في الأوقات الخاصة بها هو أمر يعنيها وحدها. لربما من الأفضل التظاهر بالحيرة، عندها لن يستمر في الضغط على هذه النقطة فقالت باعتدال:

ـ اخشى أنني لم أفهم.

ولم تنطل عليه الخدعة. وبدا بغيضاً أكثر من أي وقت مضى.

ـ لا أظنني بحاجة لأفسر الأمر لك يا ساره، ولكن إذا كنت تصرين على أن تكوني بليدة الذهن عن قصد، سأفعل. إنها الوظيفة هنا وتلك التي تقومين بها في الفندق. من المؤكد أن بإمكانك إيجاد غرفة، ربما شقة، دون أن تورطي نفسك هكذا؟ أفهم أنهم يعتبرونك مفيدة لهم وأنت بهذا التدريب وبإمكانك التحدث بلغات اخرى، ولكنني احذرك فأنا لن أجد الأمر مناسباً على الدوام.

ماذا يعني؟ وحدقت به ساره.

ـ إن الأمر ناجح تماماً، أو على الأقل حتى الآن. لقد تدبرت أمر كل شيء كان يطلبه مني السيد دنت. ولديَّ الكثير من الطاقة.



ـ وأريد هذه الطاقة لاستعمالي الخاص. وهناك أيضاً الكثير من العمل هنا. فشركة استرو عالمية، أما شركة دنت فمؤسسة كبيرة، وبحاجة إلى أن تندمج بعناية. الأمر يوفر نوعاً من التحدي قد يفيد الرجل بعدة طرق، ولكن يجب أن يكون لديه الفريق المناسب للعمل، فريق من الممكن الاعتماد عليه بالكامل. وفي وضع كهذا اعتبر أن سكرتيرتي هي الأهم. وأية طاقة إضافية لا أريدك أن تصرفيها على أي عمل إضافي في الليل.

ـ أؤكد لك أنني كنت دائماً أتغلب على مصاعبي في الماضي!

ـ ولكن هذه طريقة جورج بالعمل، وليست طريقتي. لماذا تجدين من الضروري إبقاء نفسك مشغولة هكذا يا ساره؟ عادة يعمل الإنسان كالعبد في سبيل أن لا يفكر.. أو يتذكر. وهذا ما أعرفه من تجاربي الخاصة.

واجفلت، وأصبحت خدودها ساخنة، ثم شاحبة جداً بعد أن هزتها القشعريرة، وخوفاً من أن تبدو مذنبة خفضت رأسها. ربما كان ما يقوله صحيحاً، ولكن لا يجب عليها أن تعترف، ولا يجب أن تسمح له بانتزاع الاعتراف منها بالتملّق!

ـ لدي أسبابي الخاصة، ولكنني أفضل عدم مناقشتها.

ـ إذاً يجب أن أعرف بطرق اخرى، إذا تحملت بالصبر! ما من شك أنك ستطلعيني على قرارك في الوقت المناسب؟

ـ أتريد مني أن أختار ما بينك وبين «الكريتاريون»؟

ـ إذا أعجبك ذلك.

ـ وإذا لم يعجبني؟

ـ عندها قد اضطر لإيجاد من يحل مكانك.

ونسيت ساره انها طلبت منه منذ فترة وجيزة أن يفعل هذا. ويبدو الآن ان هناك معركة للقوة أكثر منها معركة للوظيفة فحسب، مع أنها لا تعلم ما هي هذه المعركة بالضبط. وقالت بسرعة:

ـ إذا كنت قلقاً من أن اقتحم جناحك في الفندق مرة أخرى، إذاً أؤكد لك أنني لن افعل. لا أستطيع أن أعدك أن لا تراني هناك، ولكن سأبذل جهدي لأن اكون بعيدة عنك، ولن انظر حتى وأنت تتسلى مع الضيوف. و. . . .

ـ أرجوك! كل الوعود والتأكيدات في الدنيا لن تجعلني أغيّر رأيي يا ساره، ولكن سأكون كريماً معك. إذا لم أثبت لك أن عملك الإضافي عمل غير مجدي، إذاً تستطيعين الاستمرار به.

على الرغم من أنها أرادت الاستمرار في الجدال، إلا أن تعبيره منعها من ذلك. بدا من المستحيل أن تخذلها شجاعتها في اللحظة الأخيرة ولكن هذا ما حصل.

ـ يبدو هذا أمر منصف.

ـ إنه تنازل أفضل مما تستحقين.

ـ العديد من الناس يقومون بعملين.

ـ ساره! اخرجي من هنا قبل أن أغيّر رأيي!

وبسرعة استدارت لتنصرف فالتوت قدمها وزلّت تحتها على الأرضية الناعمة. ولم تقدر على إنقاذ نفسها فوقعت. وحاولت منع رأسها من الاصطدام بأحد جوانب طاولته، ولكنها سقطت مرتطمة بها، وهي تعد النجوم.

ـ ساره!

هذه المرة كان صوته مليئاً بالقلق. وتمددت على الأرض دقيقة اخرى، وهي راضية ان لا تنهض، والفراغ الأسود يغريها لأن تترك نفسها تغوص فيه. وشعرت أن ذراعاً قوية ترفعها بلطف، وبيد ناعمة ترد شعرها إلى الوراء، وحاولت أن تركّز على الكلمات التي كانت تنطلق مثقلة بأنفاس شخص ما، وحاولت أن تسمعها ولكنها لم تقدر.

وعندما وجدت نفسها غير قادرة على التظاهر بالإغماء أكثر من هذا، فتحت عيناها. مارك لا يزال منحنياً فوقها، ورأسها يؤلمها، وجه مارك كان قريباً من وجهها. وحاولت الابتسام له وقالت:



ـ أظن، إنه أمر سخيف ان أفعل هذا. .

ـ طالما أنت تدركين ذلك. . . صدمة بعد اخرى. أيستطيع أي نظام أن يتحمل هذا!

عمّن يتكلم؟ لا يمكن أن يكون عن نفسه. وحاولت التخمين، ولو عن طريق تفحّص قسماته. ولكنها لم تصل إلى نتيجة، فهمست:

ـ أنا آسفة. الأرضية المنزلقة هي السبب.

ـ أعلم جيداً ما كان السبب. إذا استطعت الجلوس يا ساره سأستدعي الممرضة لتفحصك قبل أن أرسلك إلى البيت.

ـ ولكنها الساعة الرابعة والممرضة برادلي ستكون مشغولة إضافة. . .

ـ لا تجادلي!

ورفعها إلى الكرسي، وكان هناك اهتمام مركّز في نظراته وهو يبعد شعرها ليتفحص رأسها جيداً.

ـ كدمة صغيرة فقط، ولكن كان يمكن أن تكون أسوأ على الأرجح لن تقدر برادلي أن تفعل شيئاً سوى تفحصها، ولكنني أصر ان تراها.

بعد بضع دقائق كان قد اتصل بالممرضة وصب لها فنجان شاي:

ـ اشربي هذا، لقد سببت لي ما يكفي من القلق ليوم واحد.

بعد نصف ساعة كانت ساره تغلق باب غرفتها وتنهار تقريباً على فراشها. شعرت بأنها مصدومة أكثر مما تريد أن تعترف، ولو أنها تشك أن يكون السبب تلك الكدمة لوحدها. فقد اكدت لها الممرضة برادلي أنها ليست ذات اهمية ما خلا ألم رأس خفيف، وستكون على ما يرام عند الصباح.

جلست على كرسي، بعد أن تناولت بعض الطعام الخفيف. وبدأت تفكر. لماذا لا يريدها أن تعمل عملاً إضافياً هنا؟ ربما لم يرغب في ان تراه يتسلى مع صديقته في الأمسيات؟ لا يعرف أن الفندق ملك لأقاربها وربما يجب أن تخبره، طالما سيبقى هنا. وأصبحت مرتبكة حتى أنها عندما قرع الباب سرها أن ذلك صرف انتباهها. واعتقدت أن الخادمة

انت لتأخذ صينية الطعام. فحملتها ساره واتجهت نحو الباب. ولدهشتها وجدت أن الطارق كان مارك.

وحدقت به بدهشة فقد كان آخر شخص ترغب أن تراه. كيف وجد طريقه إلى هنا بحق السماء؟

- كيف عرفت أين تجدني؟

وقبل أن تستطيع الاحتجاج أخذ الصينية منها ووضعها في الخارج وأدار لها ظهرها إلى داخل الغرفة وأغلق الباب.

- عصفورة صغيرة أخبرتني.

- عصفورة صغيرة! أخشى أنني لا أؤمن بهم.

- حسناً تستطيعين أن تبدأي بالإيمان.. ولكن آمنت أم لا فهذه كل المعلومات التي ستحصلين عليها.

وهزت رأسها وهي لا تزال مذهولة مما يحصل. وتدفق الدم إلى وجنتيها، وعيناه تجولان بجسدها النحيل، وقالت:

- لم تقل لي بعد لماذا أنت هنا.

- هذا واضح.

- أعتقد أنك وجدت نفسك مضطراً لرؤيتي. ولكن لا حاجة لذلك فقد شفيت تماماً.

- ربما شفيت، ولكنني لم أشفَ. زيارتي لراحة بالي وليس لك.

- كان لطف منك أن تتركني أغادر العمل باكراً.

- بما أنني هنا الآن، ألن تدعيني إلى الجلوس؟ حاولي أن تكوني لطيفة للتغيير فقط.

- احب ذلك، ولكن غرفة نوم فتاة ليست بالمكان المناسب.

- في المرة الماضية كانت غرفة نومي، أم لا تتذكري؟

بأية جرأة يستثير ذكريات مرت عليها أكثر من ثلاث سنوات! إنه كمن يرمي التحدي، وليست مخطئة، ولكن ماذا يأمل أن يكتسب من هذا؟ وهزت رأسها وقد خانتها الكلمات، وضمت دثارها الشفاف بشدة حول جسدها المرتعش. لماذا لا يلقي تحية المساء وينصرف؟ أيجب عليه



أن يتعمد إثارتها لتستعيد ذكرى أشياء تفضل أن تنساها؟

- ليس لديّ كرسيين هنا كما ترى، فأنا عادة لا استقبل الرجال هنا.

- لم أكن أفكر بطلب بعض الشراب، وسماع الموسيقى الناعمة ولا أريد أن أبقى كل الليل، هذه المرة.

- لم تفعل أبداً. ليس معي على كل الأحوال.

- اصمتي يا ساره. أنت لا تعرفين ماذا كنت أريد، وكنت صغيرة جداً لتتحملي مسؤولية تقرير ما تريدينه بنفسك. هكذا كنت يومها، وهل كبرت كثيراً الآن، أتساءل؟

- أصبحت في الثانية والعشرين، بالطبع أصبحت اكبر!

- وأجمل. اثنان وعشرين، ولا تزالين تبدين صغيرة كما عرفتك أول مرة رأيتك فيها. وهذا لا يساعدني كثيراً.

- حتى ولو أنه لا يبدو عليّ. فأنا الآن اكبر ومضى علي زمن طويل لأن أبقى ساذجة. ولم تعد لدي تلك العادات الطفولية التي تصدم الرجال عندما يعيدون النظر بي مرتين!

- إذا كنت أنا واحد من عديد؟ بالطبع لم يكن هذا شيء لم أكتشفه.

وتذكرت متأخرة، ديكي، الذي كان صهره.

- لم يكن الأمر كما ظننت، كنت دائماً تبتهج من قدرتك على التفكير بالأسوأ عني. ولكنني تعلمت الكثير عن الرجال منذ التقيتك، لأعرف انهم ليسوا جميعاً سواء!

- إذاً لديك الآن بعض الخبرة؟

- أجل!

ووقف مارك على قدميه ودون اية كلمة اخرى، مد يده متعمداً وجذبها إليه، تماماً بين ذراعيه.

- إذا كنت متعودة على الرجال هكذا، فواحد آخر لا يشكل فرقاً لديك. تذكري أنني رئيسك، وليس من الحكمة أن تقاوميني.

احتضانه لها كان كل ما حلمت به في السنوات الثلاث الأخيرة. تلامس جسديهما كان قاسياً، الليلة الماضيةكان متوحشاً والضغط الذي

يمارسه الآن لم يكن رقيقاً، ولكنه سمح لها بالتجاوب، وبينما كان يضمها إليه، بدأت النار تسري بلطف إلى جسدها. وأنّت بنعومة، وبدلاً من أن تقاوم كما فعلت من قبل، ضغطت بنفسها عليه أكثر، واشتدت ذراعاه من حولها. وتملكها الشعور بالخوف والنشوة معاً.

ورفع رأسه لينظر إليها. التعبير على وجهه جعلها ترتعد. بدا قاسياً لدرجة قد يقرر معها ان لا يتركها أبداً. وتمنّت ان لا يفعل. ولكن في الوقت الذي صدمتها هذه الأفكار شعرت بضرورة المقاومة، وأن تتنكر لمثل هذه المشاعر الأساسية

- اتركني يا مارك! اكرهك!

- لا، أنت لا تكرهيني. فأنت تتمتعين بهذا، أيتها الكذابة الصغيرة الجذابة. كم مضى عليك يا ساره منذ آخر رجل حضنك هكذا؟

وأرادت ساره أن تصرخ «ليس منذ أن فعلت أنت» ولكنها تراجعت. لم تشعر أبداً من قبل مثل هذا الشعور مع أي رجل.

- ساره! لا يجب عليك أن تجاوبي يا حبيبتي، أستطيع قراءة كل ما أريده من عينيك السوداوين. ألم تدركي هذا؟

- اتركني، انت مخطىء.

وحاولت استخدام يديها لتدفع صدره العريض عنها. وكل ما تمكّنت منه أن تقطع زراً من قميصه. وقالت بتوسل تقريباً:

- مارك!

- يا إلهي يا سارة، لقد مضى زمن طويل منذ آخر مرة. كم حلمت بهذه اللحظة، كم ندمت على عدم امتلاكي لك!

وفجأة، عندما وقع نظره على ساعته صاح:

- دولريس! اللعنة كدت أن أنسى!

- دولريس؟

- أنا آسف، يجب أن أقابلها. إنها صديقة، صديقة مهمة جداً.

- فهمت!

وقفت ساره تنظر إليه بصمت. وشعرت بالغثيان. كيف يستطيع



هكذا أن يدير أو يطفىء عاطفته؟ ما نوع هذا الرجل الذي يستطيع أن يذهب من بين ذراعيها رأساً إلى ذراعي فتاة اخرى؟ وصرخت به عالياً.

- لا تدعوني مرة ثانية أبداً «ساقطة».

- لن أدعوك. ولكنني لا زلت اعتقد أن لديك تصرفات واحدة جيدة.

وقبل أن تستطيع تجميع جواب من خلال الغضب الذي تملكها استدار وخرج من الباب.

في الصباح التالي قال لها ابن عمها كلود مداعباً:

- هل وجدك رئيسك الجديد ليلة امس؟

- إذاً كنت انت من أرشده إليّ؟

- أجل، وهل تتصورين أنه يستطيع شرح ما يريده لشخص آخر يا عزيزتي؟

- هل قلت له انك ابن عمي؟

- لا. لم أعط نفسي هذا الشرف. لقد نظر إلي بارتياب فقررت أن لا أفعل.

- بارتياب؟

- طبعاً، ومع ذلك كان باستطاعتي تخمين لماذا.

تأخرت سارة عن موعد عملها خمسة عشر دقيقة في ذلك الصباح. ولكن ليس بسبب ألم رأسها. فقد تعطل الباص الذي تستقله، وبتفتيشها عن آخر استقلت واحداً آخر خطأ وكان عليها أن تغيره ثانية. ولدهشتها وجدت مارك شاحباً عندما دخلت عليه.

- أين كنت بحق السماء.

وحاولت أن تشرح له ما حصل معها. وحمدت ربها أنه لم يستجوبها عن ركوبها الباص الغلط. فبعد أمسية عامرة مع دولريس سيكون كثير الارتياك ليستجوبها بدقة عن تصرفاتها، وعاد إلى مكتبه وصفق الباب دون أن يهتم بسؤالها إذا كانت قد شفيت.

وحاولت سارة أن لا تنظر إليه طيلة ما تبقى من الصباح. متعمدة أن تستغرق في عملها وكأن ما حدث في غرفة نومها الليلة الماضية لم يحدث.

وبحلول وقت الغداء كانت منهكة تقريباً. فقد أبقاها مارك لاهثة في عملها طوال الوقت، كما أنه قابل عدة موظفين في مكتبه وكان يطلب وجودها معهم أحياناً.

بعد أن غادر آخر موظف المكتب، اتصل بها مارك يطلبها فوراً. لم يكن خارجاً ليتناول غداءه. ولم يكن هذا مفاجئاً لها، وانتظر ونظرة ساخرة في عينيه بينما كانت تتصل بالمطعم لتطلب القهوة وبعض السندويشات وأصر على أن تستخدم هاتفه وركز نظره عليها طوال الوقت. وبدت عيناه وكأنهما تتذكران وتقولان: أتذكرين أول غداء تقاسمناه منذ زمن؟ وتنهدت بارتياح عندما لم يذكرها بالماضي، بينما كان يطلب منها مشاركته الطعام. وعندما رفضت بأدب، تنهد وقال:

ـ اجلسي إذاً، آنسة تشاو. لن يستغرق هذا سوى دقيقة. راحة قصيرة قد تفيدك. تبدين مرهقة. كيف رأسك؟

ـ أشعر بأنه أحسن.

ـ الا تريدين أن تأكلي.

وأخذت تحدق به وهو يأكل، ولمعت عيناه عندما تطلع إليها أخيراً وكأنه قد تعمد أن يعطيها فرصة لتتفحصه.

ـ كنت أتساءل لتوي، هل يمكن الاعتماد على هارغريفز.

ـ طبعاً يمكن الاعتماد عليه.

ـ وماذا يجعلك تعتقدين هذا؟.

ـ جسناً، جورج... مستر دنت، كان يتركه دائماً مسؤولاً عندما يكون مسافراً أو عندما يذهب إلى العطلات.

ـ هل كان يذهب دائماً إلى العطلات؟.

ـ أجل، على الأقل مرتين في السنة. دون ذكر نهايات الأسبوع الطويلة. فهو وزوجته ليس لديهما عائلة. لهذا السبب يسافر أكثر من



غيره من رجال الأعمال. فهو يعتبر زوجته أهم من عمل ليس لديه من يتركه له.

ـ يبدو أن السيدة دنت. تقدر له ذلك.

ـ نعم، أعتقد أنهما لا يزالان يحبان بعضهما كثيراً.

ـ تبدين وكأن هذا يدهشك. وكأنما الاستمرار في حب شخص ما أمر مستحيل.

ـ لا، لا أعتقد أن من المستحيل الاستمرار في حب شخص إلى الأبد! الأبد!

واحمرت وجنتاها وقد أدركت معنى ما قالته لتوها، وتخوفت من أن يعتقد بأكثر مما تريد أن تقول.

ـ تابعي كلامك.

ـ آسفة. أنا فقط أشعر بالقلق لأنك غير راضٍ عن السيد هارغريفز.

أتعلم، زوجته أنجبت لتوها طفلاً وسيكون الأمر مريعاً لو فقد وظيفته.

ـ لا تقلقي. على عكس ما تتصورين أنا ليس عندي اعتراض على السعادة الزوجية. وكيف لي ومن حولي كل هذه الدلائل؟ شخصياً أحب كثيراً أن أهتدي.

هل هو يشير إلى علاقته بدولريس الجذابة؟ واستمر مارك.

ـ في الحقيقة لم أكن أتساءل عن قدرة السيد هارغريفز، أردت فقط أن تؤكدي لي بعض الأشياء، يبدو لي أنه شاب مؤهل ولا يخاف المسؤولية، النوع المناسب تماماً لأن يستمر في طريق طويل مع مؤسسة مثل «استرو كاميكالز». أنا أدرس امكانية تركه مسؤولاً هنا، لأنني مضطر للعودة إلى لندن.

ـ فهمت ذلك.

ـ ربما لم تفهمي تماماً، سأغيب بضعة أيام، وأريدك أن تأتي معي. ستسافرين فقط ليلتين أو ثلاثة بالأكثر.

ـ لا يمكن أن تعني أنك تريدني العودة إلى مكاتب أسترو؟ وأن اعمل سكرتيرة لك هناك؟

ـ الا تحبين ذلك آنسة شاو؟

ـ لا.. اوه.. لا يا مارك.. لا أستطيع!.

ـ أنت فتاة غريبة يا سارة. الا تهتمين بالتنعم بالمجد؟ كملكة فوق كل أصدقائك القدامى؟ وأعدائك أيضاً؟ وأن تعطي القيل والقال شيئاً حقيقياً يغرز أسنانه به؟

ـ اوه لا! أنت تعرف أنني لن أعرف كيف سأبدأ، وسينفذ صبري بسرعة.

ـ لا أضمن صبري، ولكن من ناحية أخرى أرفض الشك في قدرتك. فلك ذكاء وقاد يا سارة، وستتغلبين على الصعاب بمهارة، على كل لا أريدك الآن لنفسي، ربما حتى تتقاعد الآنسة درو واستطيع عندها أن أعرض عليك الوظيفة بشكل دائم.

ـ لا اعتقد أنني سأقبل هذه الوظيفة، حتى لو عرضتها علي. إذا كنت لا تحتاجني في مكتبك في لندن فلماذا علي أن أذهب هناك؟

ـ أريدك هناك في حال حصلت مشاكل أمام هارغريفز هنا ويستطيع عندها الاتصال بك في منزلي مما ينقذني من اتصاله بي في المكتب. ونستطيع أن نعمل على حل مشاكله في المساء.

ـ أتعني أنك تريدني أن أبقى في منزلك؟

ـ صحيح. لا تقلقي آنسة شاو. من الممكن أن نبقي الرسميات بيننا كما تحبين. فلدي مدبرة منزل، تنفع أن تكون وصيفة ممتازة لك، صدقيني. انها الطريقة الوحيدة التي أستطيع التفكير بها لمعالجة وضع دقيق للغاية كهذا. يجب أن تفهمي يا سارة، لو لم يكن الأمر مهماً لي لما طلبت منك.

انحراف بسيط فاتها ملاحظته:

ـ إذا كنت فعلاً تفضلين أن لا تذهبي أستطيع أن أطلب ذلك من شخص آخر. وهذا أمر مؤسف لأنك تعرفين تماماً ما سيتحدث عنه هارغريفز.



وبدا أن سارة ليس أمامها أي بديل عن القبول. وقال مارك برقة، دون محاولة اخفاء نظرة رضي في عينيه.

ـ لقد اتصلت بالفندق، وأعلمتهم بانني سأتغيب، وأقترح عليك أن تفعلي مثلي. سأحتفظ بجناحي لأننا سنعود يوم الجمعة على الأكثر. ولا أظن أن غرفتك الضيقة غير الأنيقة قد يشغلها أحد.

ـ غرفتي ليست غير أنيقة!

ـ الليلة الماضية كانت حميمة ودافئة!

كيف يستطيع أن يشير إلى هذا؟ ألا يخجل؟ يعانقها كما فعل ثم يذهب فوراً إلى ذراعي امرأة أخرى؟ ماذا سيفعل من دون جميلته دولريس؟ وقطع صوت مارك أفكارهما.

ـ أنت تدركين بأنك لن تساعديهم في الفندق حتى عودتنا.

ـ اوه.. استطيع أن أعوض في الأسبوع القادم. ولكنهم الآن مشغولين كثيراً.

ـ حقاً؟

ـ لن يطردوني إلى الخارج. حتى ولو لم أعمل أشياء أخرى! سأعوض عن غيابي بأية طريقة.

وأمام دهشة سارة صرّ مارك على فكيه وأصبحت عيناه باردتان.

ـ ذلك المدير الشاب، ربما لا يعارض في أن يأخذ بدلاً عن الدفع للغرفة.

وقفزت سارة على قدميها غاضبة وقد برقت عيناها الزرقاوين.

ـ لست أدري تماماً ماذا تعني بهذا سيد فينويك، ولكنه يبدو قذراً!

ووقف هو أيضاً، وقد بلغ به الغضب مثلها، وبل أقوى.

ـ ليس قذارة ما يصدر عني، أحذرك يا سارة. هناك أشياء كثيرة حول وضعك هنا لا تسرني! اذهبي الآن وحضري أغراضك. سآخذك بعد حوالي الساعتين. وهذا وقت يكفيك.

# ٩ ـ سهرة في بيته

كان من الممتع أن تستيقظ في الصباح التالي لتجد فنجان شاي إلى جانب سريرها، وتطلعت سارة إلى ساعتها لتجد أنها أصبحت بعد التاسعة. من الواضح أن مدبرة المنزل ظنت أن الوقت أصبح متأخراً لشخص في مركز سارة. ربما لم تكن تعلم أن مارك قال لها أن لا تقلق من النوم إلى وقت متأخر، إذ من غير الممكن أن يتصل جون هارغريفز قبل العاشرة. وشربت الشاي بعد أن قررت أن لا تقلق من جدية طبع السيدة أوليفر مدبرة المنزل، وتذكرت أن كل ما قاله مارك أثناء سفرهما إلى لندن كان حول أمور غير شخصية. وعندما وصلا أتى بها مباشرة إلى منزله ثم غادر فوراً إلى مكتبه. وعندما ذهب تذكرت ذلك البناء الضخم الذي يضم شركة استرو فشعرت بالحنين إليه، وتساءلت عما تفعله الآن صديقتها غوين والاخريات. ولكنها لم تشعر برغبة في مقابلتهن. غرفة النوم التي اختارها لها مارك كانت جميلة، بسجادتها ذات اللون العاجي وورق الجدران الزهري، والفراش الناعم الذي يوفر الفخامة والراحة. وشعرت سارة وكأنها أميرة أكثر من كونها سكرتيرة عادية. في الليلة الماضية آوت إلى فراشها باكراً إذ لم يرجع مارك إلا متأخراً. وبعد العشاء لم ينتظر حتى يتناول القهوة معها، بل اختفى في غرفة مكتبه ولم يخرج. وقرأت كتاباً حتى العاشرة، محاولة تجاهل شعور مزعج بأنه أهملها وحاولت التأكيد لنفسها أنها في رحلة عمل، وليست في عطلة. ثم آوت للنوم.



واتصل جون هارغريفز عدة مرات خلال النهار، ولكن لم يكن هناك شيء مهم. واستطاعت سارة مساعدته بنفسها، ومع ذلك فقد سجلت ملاحظات عن كل شيء لتريها لمارك عندما يعود، وبحلول الساعة الخامسة شعرت ببعض الغضب، وبشك فظيع من أنها تعرضت لنوع من المؤامرة. كانت متأكدة أنها قادرة على مساعدة جون وهي هناك في «كوفنتري» كما تفعل هنا. وأن أكثر الأشياء التي سأل عنها لا تستلزم السؤال أصلاً!

وعندما وصل مارك في السادسة والنصف، وقال لها انه سيأخذها للعشاء خارجاً شهقت في وجهه قائلة:

ـ أنا... لقد قلت اننا سنعمل؟

ـ لقد سألت. يبدو أن جون ليس لديه أية مشاكل لم تحليها له جيداً.

ـ كما قد يفعل أي طفل.

ـ ولكن كان من الممكن أن تكون هناك مشكلة يا سارة. يجب أن تتقبلي هذا الواقع. لقد قلت لك سابقاً اننا نمر في أوقات عصيبة ولا أستطيع أن أتحمل أية أخطاء صغيرة. اذهبي وغيري ملابسك مثل الفتاة الطيبة. ولا تجادلي.

ـ لقد غيرت، كنت أتوقع أمسيات عمل.

ـ لا تقولي لي انك لم تلتزمي بالعادة الانثوية المعتادة، ولم تحضري شيئاً جميلاً لترتديه، في الحالات الطارئة؟

ولكن سارة أحضرت معها، ثوب من الكريب الحريري الرقيق بلون أزرق مثير. وضحك مارك عندما قرأ النظرة المذنبة على وجهها.

ـ اذهبي وارتديه. تذكري أنا الرئيس.

ـ ليس لوقت طويل.

ردت عليه بشجاعة، ولكنها كانت تشعر أن عليها الطاعة. عندما ينظر إليها هكذا كل جدالها يذوب كما الثلج في الشمس.

ـ قد تكونين على حق. يوم من الأيام قد تكوني مصيبة، إذا لم أنتبه لنفسي.

لم تنتظر سارة لتحل هذا اللغز، وحضرت نفسها بسرعة وهي تتساءل الى أين سيأخذها مارك، مع أنها ستندم على أمسية هادئة تقضيها في المنزل. سارة كانت تشك أن السيدة أوليفر لم تكن تدري سبب وجودها هنا، ولكنها تذكرتها بعد ثلاث سنوات، وسرت سارة بهذا.

ـ تبدين جميلة.

وتطلع اليها، وكان هناك شيء خطير في أعماق عينيه الرماديتين وتذكرت سارة امسيات أخرى عندما قال لها مثل هذا الكلام، ولكن هذه المرة كان في كلامه شيء أعمق، وكأن شيء في داخله يمد نفسه ليستولي عليها وأنه كان يقاوم نفسه بصعوبة. وسخرت من نفسها ولامتها للخيالية التي استحكمت بها ولحنينها للماضي. ولكن إذا كان المستقبل لن يحتوي على مارك، وبالنسبة لها لن يكون، إذاً فالأفضل لها أن تعود في الزمن إلى الوراء، حتى ولو أن مثل هذه الذكريات تؤلمها.

وأخذها الى واحد من تلك المطاعم التي اعتادا في الماضي ارتيادها لتناول الطعام والرقص. من الممكن أنه اختار ذلك متعمداً، وتعجبت لماذا وقع اختياره على مسرحية هزلية خفيفة ليأخذها اليها بعد مغادرة المطعم. ولم تتمالك سارة نفسها عن الاضطراب عندما أخذ مارك يدها بيده اثناء مشاهدتها للمسرحية. ولكن يبدو أن الامساك بيدها اصبح عادة عنده، واستمر ممسكاً بها للجزء الأكبر من الفصل الأخير، واصابعه تمر فوق رسغها قرب النبض المتسارع، قبل أن يتركها، شعرت به ينظر إليها ولكنها لم تنظر اليه.

وصلا إلى المنزل بعد منتصف الليل. بدليا عند عودتهما من السهرة وكأنهما زوج وزوجته يعودان معاً، وتنهدت سارة مع أنها تعارض مثل هذه الأفكار. وصعدت الدرج ونظر اليها من الاسفل وقال بابتسامة ساخرة:



ـ أظن أنك بحاجة الى بعض الحليب الساخن أو ربما كاكاو، ثم الفراش.

ـ لا، شكراً لك.

وبالرغم من أنها جاهدت حتى تبدو متزمتة، فقد اعتقدت أنه سيزودها بالحليب الساخن والكاكاو! ولكن هل هي بالتأكيد لا ترغب حقيقة بشيء آخر؟ لقد اصبح من المألوف لديها هذا الشوق في اعماقها لتكون بين ذراعيه. وتابعت وهي تتردد:

ـ لم نناقش المسائل المختلفة التي سأل عنها السيد هارغريفز، وقد لا أراك في الصباح.

ـ يجب أن أراك في الصباح. اليس كذلك؟

ـ الا نستطيع...

ـ انظري سارة لست في مزاج لشرب القهوة والبحث بامور السيد هارغريفز، من الأفضل لك أن تذهبي الى الفراش.

وحلمت سارة تلك الليلة بأنهما في البيت الريفي ثانية، هي ومارك، يشربان الشاي أمام النار المتوقدة في غرفة الجلوس، كان الدفء قرب النار والبرد في الخارج والريح تهب. بعد ذلك حملها مارك بين ذراعيه واستمر يهمس في أذنها «أحبك.. أحبك».

وقبل أن يفعل أي شيء آخر، استفاقت. وللحظة غمرها شعور بخيبة الأمل لأنه كان حلماً، بعد ذلك وبصرخة مليئة بالخجل استدارت ودفنت رأسها في الوسادة، وعندما استفاقت ثانية كان أمامها شيء جعل قلبها يخفق ثانية، فقد شاهدت مارك يتقدم نحوها وبيده صينية. وكان يلبس «شورت» بحر ومعطف منزل فوقه، وابتسامة ووضع الصينية بقربها.

ـ فقط لأبرهن لك أنني لم أنوي حرمانك من شيء الليلة الماضية. ولكنني أحذرك من أنني لن اتعود على دلالك هكذا.

وجلست سارة في الفراش، وهي لا تزال كسلى.

ـ أين السيدة أوليفر هذا الصباح؟ ام لم يقبل الصباح بعد؟ كم الساعة الآن؟

ـ السابعة والنصف فقط، وبما أن السيدة أوليفر لا تظهر قبل الثامنة وجدت من العار أن أبدد الشاي سدى.

ـ أوه... هل تظن أنها ستوافق على احضارك الشاي هنا؟

ـ تحركي الى الداخل، لقد أحضرت فنجاناً لي، كي نبحث كل ما ترينه ضرورياً ونحن نشرب الشاي.

ـ أجل... فهمت.

وفجأة أدركت أنها في حالة عري، فارتجفت واحمرت وجنتاها ولفت نفسها جيداً بملاءة السرير، وهي تتطلع إلى «الروب» الملقى على مسافة منها على أحد الكراسي،

ـ ملاءة السرير تكفي، ستجدينها أكثر راحة. ليس لدى أية خطط هذه المرة، ولا أنوي تمضية النهار كله هنا. إضافة إلى ذلك، لقد تعودت على رؤيتك هكذا.

واصبحت وجنتاها أكثر احمراراً، وحاولت أن تركز على الشاي، وحاولت ان لا تنظر إلى مارك، والظلال السوداء لنمو لحيته طوال الليل على وجهه، التي بدت شاذة جداً أمام جاذبيته. وفرك ذقنه الخشن بعدما لاحظ نظرتها.

ـ لا تمانعين أن تكون ذقني غير حليقة اليس كذلك يا سارة؟ أخشى أن يكون القلق حول هاغريفز هو الذي جذبني الى بابك أكثر من أي شيء آخر.

هل من المفروض أن تصدق هذا؟ إنه يبدو خفيف الوقع! لا تقدر أن تتصور أن مارك يمكن أن يقلق حول أي كان، وآخر شخص قد يكون جون هارغريفز! وأضاف مارك قائلاً:

ـ آمل أن لا تكوني قد حلمت بالكوابيس حوله أيضاً؟

ـ لم أحلم به، حلمت بك!



ـ كم لا تزالين طفلة، تبدين كذلك، حوالي السابعة عشر!

ـ ليس في يدي عمل شيء.

ـ لا، أعتقد أنك تستطيعين. أتساءل ماذا يجعل المرأة تبدو أكبر سناً؟ مئة حبيب؟ من المؤكد أن فقدانهم قد يسبب صورة مزعجة، على الرغم من أن ذلك يبقي العمر صغيراً.

ـ لقد أتيت هنا لنبحث مشاكل السيد هارغريفز وليس مشاكلي.

ـ آه... أجل..

وفي العشر دقائق التالية بدا مركزاً على السيد هارغريفز وهو يعطيها بعض النصائح تعطيه اياها، أو معلومات غريبة لم تنتبه لها.

ـ أفعلي الأمر نفسه اليوم. ولكن لا تبقي في المنزل طوال الوقت. أريدك أن تأخذي بعض الهواء الطلق، وإلا ستبدين شاحبة عند عودتك. وسيتساءلون عما فعلت بك. اذهبي إلى الحديقة.

ـ كما تريد. ستعود الليلة باكراً كما أعتقد.

ـ سارة...

والتقط خصلة من شعرها، ثم تحركت يداه الى كتفيها وقربها منه، وعانقها بلطف دون إثارة، وتمتم شيئاً لم تفهمه.

ـ هل قلت شيئاً يا مارك.

ـ لا تكوني فضولية، سارة شاو، ربما من الأفضل أن لا تعرفي، ليس بعد.

لم تستطع التكلم إلا بصعوبة، ورأسها يدور، وأطرافها ابتلت بالعرق. وبالكاد تستطيع التفكير بصفاء.

ـ لقد كنت ترفضني باستمرار يا مارك وانت تعرف ذلك!

ـ أنا لا أرفضك الآن، بل أريد امتلاكك كلك، كل جزء فيك حتى تفكيرك غير المنطقي.

وشعرت سارة بالرعب وهي تستمع إليه، وخرجت الدموع من عينيها تتدحرج على وجنتيها وأحسّ بدموعها. واصبح لونه شاحباً ونظرته مصممة. وقال بعجل:

ـ سارة، يجب أن نتحدث، أنت وأنا، لا نستطيع الاستمرار هكذا... كل ما كان ينوي قوله قاطعه دقة على الباب.

ـ أوه، يا الهي، مدبرة منزلي العزيزة! وما كنت سأقوله لا يحتمل المقاطعة.

ـ مارك، أرجوك...

ـ لا تهتمي يا حبيبتي، سأراك الليلة، وحتى ذلك الوقت انتظريني أتعدين؟

ـ نعم يا مارك.

كان هناك نغم قديم، سمعته سارة يعزف في الفندق. وكانت تدمدم به بينما كانت تغتسل ومن ثم ترتدي ثيابها، وهي تحاول نسيان الخجل من تصرفها، كمحاولة تجاهل نور الصباح. ونزلت الى القاعة، وكان مارك قد ذهب، وبينما كانت تتناول طعام الإفطار كانت السيدة أوليفر تدخل وتخرج من غرفة الطعام لتستجيب لكل حاجاتها. وشعرت بأنها ترغب في الاصرار على أنها تقدر على تدبير أمورها دون هذه الدرجة من الاهتمام، ولكنها لا تعتقد أن السيدة أوليفر ستوافق. ومع ذلك حملت أطباقها الى المطبخ وغسلتها بنفسها متجاهلة احتجاج السيدة أوليفر.

ـ ليس لدي ما أفعله، وإذا اتصل السيد هارغريفز أستطيع سماع رنين الهاتف من هنا.

وهزت السيدة أوليفر رأسها موافقة، وابتسمت وبدأت بالحديث وكان حديثها يدور حول الطقس ولكن سارة عرفت أنه خطوة أولى في الوجهة الصحيحة. وعندما قالت السيدة أوليفر ان مارك لن يأتي لتناول الغداء لم تقل انها تعلم. بل قالت لها أن لا تزعج نفسها بتحضير الغداء لها لأنها ستتناول بعض السندويشات في الحديقة. عندها عرضت السيدة أوليفر أن تحضر لها السندويشات بنفسها ورغم تمتعها بالتمشي في الحديقة وبالغداء اللذيذ الذي أحضرته معها، فقد مضى النهار. ولم يكن هناك أزمات في مكتب كوفنتري، ولم يتصل جون سوى مرة



واحدة، والسيدة أوليفر كانت في الخارج طوال بعد الظهر. وكان المنزل هادئاً. ولدهشتها اتصل بها مارك في وقت متأخر من بعد الظهر ولكن ليقول انه لن يعود قبل السابعة أملاً أن لا تمانع.

ـ بالطبع لا.

ـ هل أنت على ما يرام سارة؟

ـ نعم، نعم بالطبع.

ولكن صوتها كان مرتعشاً بشكل غير عادي، وعلمت ذلك وتمنت لو أنها حاولت أكثر أن تسيطر على نفسها. وبسرعة وقبل أن يبدأ بطرح الأسئلة قالت:

ـ كنت في الحديقة، ولم التقط أنفاسي بعد.

ـ أحب أن أزيل أنفاسك تماماً، تقريباً.

ـ يجب أن نوقف المخابرة الآن، فربما كان جون ينتظر.

ـ إذا يجب عليّ أن العب الدور الثاني لرجل آخر!

ـ الى اللقاء يا مارك.

وارتجفت أصابعها وهي تضع السماعة مكانها والقت بنفسها على كرسي قريب. بدا مارك وكأنه يسترضيها، وستكون غبية لو اعتقدت أنه وبدرجة ما ليس متعلقاً بها، ولكن إلى أي مدى يمكنها الوثوق من مشاعره؟ وتذكرت الألم الذي عانته، وارتجفت، وهي تشك في أنها قادرة على مواجهته مرة أخرى. ربما يرغب في علاقة عابرة فقط، ولكنها لا تعتقد أنها الشخص المناسب لهكذا علاقة. انها تحبه كثيراً، ولكن حبه بهذه الدرجة لا يجعلها تثق به! بطريقة ما يجب أن تبقيه بعيداً عنها وفي متناول اليد، مع أنها لا تعلم كيف تدبر هذا الأمر.

كانت الساعة تقارب السابعة عندما وصل مارك. وسمعت سارة صوت مفتاحه في الباب وجلست تنتظر، غير راغبة في أن تركض لتستقبله. ودخل رأساً الى غرفة الجلوس. وشاهدها تجلس ببلوزتها الزرقاء الحريرية التي تليق بالعمل، فصاح بسخرية:

ـ بحق السماء، لم كل هذا الاستعداد؟

وعندما لم ترد قال بصوت ناعم ورقيق:

ـ إذاً أنت لا تزالين خائفة من أن تثقي بي؟ هذا نوع من التسلح ضد أي محاولة لاغوائك. حسناً لا أستطيع القول أنني لم أحاول.

وأصبح غضبه أسوأ مما كانت تتوقع، وخاصة لأنها لم تقدر على إجبار نفسها بالتصرف بشكل طبيعي وقالت:

ـ لقد قلت اننا سنبقى هنا، ولم أعتقد أنك تريدني أن أكون مرتدية ثياباً جميلة.

ـ أحب أن ارى النساء وهن يبدين أنوثتهن في المساء. وانت تعرفين ذلك، على ما أعتقد آنسة شاو؟

وبسرعة حل مكان الخوف، الغضب حينما كان ينظر إليها، وأدركت من قسمات وجهه، أن يومه كان متعباً، ولكن هذا بالطبع لا يعطيه الحق لاهانتها! وما زاد الأمر سوءاً لها أنها تعلم بأنه على حق! ومع ذلك فليس من الحكمة قول هذا له. وقالت له بترو قدر المستطاع:

ـ ليس معي سوى ما ارتديته ليلة أمس، واعتقدت أنه كثير لمثل هذه المناسبة.

ـ أية مناسبة؟

ـ أنت تعرف ما أعني.

ـ لست متأكداً، ماذا عن ثياب السفر الجميلة التي كنت ترتدينها عندما اتينا إلى هنا؟ إذا كنت لا تحبين فكرة ارتداء الثياب الجميلة لأجلي، فذلك الثوب ليس سيئاً.

ـ أنا آسفة.

ـ اعتذارك قد يكون فاتناً لو لم يكن من الواضح أنه على مضض.

ـ أظن... أظن أن السيدة أوليفر ستنتهي من تحضير العشاء قريباً.

ـ تبدعين وكأنك مضيفة في مؤسسة! كما أنني أعرف تماماً أوقات الوجبات في منزلي!

ـ أنا آسفة.

قالتها ثانية وهي تشعر بشكل رهيب بأنها ترغب في الانزواء في



إحدى الزوايا وتخبيء رأسها. كل هذه السنوات الثلاث وهي تكافح للتخلص من رغباتها الدنيوية ذهبت هدراً. شعرت بأنها أكثر سذاجة عما كانت يوم أن عرفت مارك. وكرهت نفسها وهو يحدق بها ببرود. وتساءلت لماذا يجب أن يتشاجرا بهذه المرارة. وماذا حدث منذ هذا الصباح؟ أم أن هذه غلطة منها؟ لو أنها تحضرت لترضي ذوق مارك، ولولا غبائها وعنادها لكانت ستنجح بابعد ما كانت تحلم به في أكثر أحلامها جنوناً.

ـ لا أدري لماذا أفتعل المشاكل حول هذا الأمر. لدي أكثر مما يكفي من عمل يبقيني مشغولاً في غرفة مكتبي باقي هذا المساء. ولست بحاجة حتى أن أنظر اليك بالمرة!

ـ مارك...

وبهذه اللحظة دق جرس الباب، وكأنما سر لخلاصه، ذهب مارك لرؤية الطارق بنفسه وسمعت سارة صوتاً انثوياً ناعماً.

ـ حبيبي! حالما تسلمت رسالتك أتيت فوراً!

ولم تلتقط سارة رد مارك، واسرع لاقفال الباب بينهما. وأخذت تفكر بكآبة، لم يكن عليه أن يزعج نفسه، فقد فهمت الآن سبب تصرفه منذ أن دخل. من الواضح، المؤلم، أنه ندم على الذي حدث هذا الصباح في غرفة نومها، وكان يحضر لخداعها قبل أن تصل هذه المرأة، كائناً من تكون. وبقيت سارة متجمدة حيث كانت، الى أن قدمت السيدة أوليفر لتعلمها أن العشاء جاهز.

ودون أن تعرف تماماً ماذا تتوقع، دخلت لتجد مارك يتناول الشراب مع غريبة في القاعة. وحدقت عينا سارة الذاهلتين بجمال هذه الامرأة. وبزينتها الكاملة، وعطرها الغالي الثمن. وحاولت أن تبتسم ولكنها فشلت. وأتاها صوت مارك بنغمة ناعمة تبعث على الضجر.

ـ آه.. دولريس، ها قد أتت سكرتيرتي، الآنسة شاو كانت تساعدني في حالة طارئة.

إذاً هذه هي دولريس جوريز، المرأة التي كان يقابلها كثيراً في كوفنتري، ومدت سارة يدها، فتجاهلتها الآنسة جوريز وهزت رأسها فقط. وارتدت يد سارة بعصبية الى جنبها. من الواضح أن الآنسة جوريز قد قررت أن السكرتيرات الصغيرات الخنوعات لسن بحاجة لأكثر من تعارف قصير.

ـ إذا كنت مستعدة يا دولريس، نستطيع الدخول الآن، وستنضم إلينا سارة.

وبدت دولريس مندهشة، ومن الواضح أنها منعت نفسها من اقتراح أن تتناول سارة العشاء مع الخدم في المطبخ. ولأن مارك أمسك لسارة الكرسي لتجلس قبل أن يجلس هو، بدت أنها لم تكن مسرورة، لم تعر سارة التفاتاً كل فترة تناول الطعام. هذا عدا الاستغراب الذي ابدته عندما شارك مارك متعمداً سارة في حديثهما، ومع ذلك فقد لاحظت سارة أن دولريس جذابة جداً وليست باردة كما بدت في بادىء الأمر. وكان واضحاً أنها مغرمة بمارك. أثناء الحديث أشارت دولريس بلكنتها الانكليزية الى سارة بأن من المزعج أن تضطر إلى العمل في مكان مثل كوفنتري عندما يكون مكانها الصالح في لندن. ونظر اليها مارك قائلاً:

ـ لا يجب أن تتذمري من كوفنتري يا دولريس، إنها بلد الآنسة شاو.

ـ أوه... يا فتاتي المسكينة! ما كنت أرى ما سأفعل هناك دون مارك.

ولم تقل سارة شيئاً بل نظرت إلى طبق الحلوى أمامها. كانت قد شعرت بالانزعاج عندما تجاهلتها دولريس، ولكنها الآن تصلي لتفعل هذا ثانية! ولكن دولريس لم تفعل، إذ بدت أنها تتمتع بارتباك سارة.

ـ كيف تحبين العمل مع مارك آنسة شاو؟ هل يستأسد عليك؟

ـ أوه.. لا.. حسناً..

وقاطعها مارك فوراً:



ـ الآنسة شاو في الحقيقة لا تتمتع بالعمل معي بالمرة، اعتقد أنها تشك في انني أنهمك في المغازلات قليلاً.

ـ ولكنك مغازل فاتن. لو كنت أكبر سناً بقليل آنسة شاو، سيعجبك كثيراً أن يكون السيد فينويك رجلاً رائعاً!

وجلست سارة وهي تتألم داخلياً، وتصبح أكثر غضباً في الوقت نفسه! كيف يستطيع مارك أن يجلس هكذا ويتسلى؟ أهذا ما عناه بأنه يحب أن تكون النساء انثويات؟ ها هو يجلس الآن يحدق بها، وكأنها شخص يكرهه. كم كانت محقة بعدم الثقة به! واحست سارة أنها لن تجد صعوبة بعد الآن بعدم الثقة به.

عندما انتهت وجبة الطعام غير المريحة هذه اعلن مارك أنه سيخرج مع دولريس. وعندما ذهبت دولريس لتعيد تزيين نفسها تحدث مارك لسارة قائلاً:

ـ أشك في أنني سأراك قبل أن تعودي إلى «كوفنتري» سأرسل شخصاً ليعيدك الى هناك غداً. ولن أعود أنا قبل الاسبوع القادم.

ـ أعتقد أن هذا بسبب الآنسة جوريز. فأنت تريد غرفتي؟

ـ أيتها الغبية الصغيرة! لن نتناقش بأمر الآنسة جوريز الآن، لو سمحت.

ـ أنت لا ترغب مناقشة أمر النساء الاخريات أبداً اليس كذلك؟

ـ سارة... أحذرك!

ـ آسفة يا مارك، ولكن إذا عدت إلى كوفنتري فماذا بشأن السيد هارغريفز؟

ـ أعتقد أن بمقدوره تدبير الأمور.

وتركها دون مبالاة بعد أن نادته دولريس من القاعة، وقبل أن يخرج مباشرة استدار وحدق في وجه سارة المتألم. وبدا كأنه سيقول شيئاً، شيئاً شعر بأنه ضروري، ثم، وكأنما غير رأيه فجأة استدار وخرج واقفل الباب وراءه بسرعة.

# ١٠ ـ لا تعرف كم أحبك

قررت سارة أن تعود إلى كوفنتري في الصباح التالي. في الواقع تستحق عطلة طويلة، وقررت أن تأخذها. كان اليوم الجمعة، وكانت تشك كثيراً في أن يعود مارك قبل الأسبوع القادم. وخاصة أن السيد هارغريفز ناجح بعمله. ولن يكون أمامها كثير لتفعله لذا ستتصل بجون وتخبره ما تنوي أن تفعله. ولن تتصل بمارك إذ سيبدو الأمر وكأنها تستأذنه، وهذا ما ترفضه.

وبما أنها كانت قد وضبت ثيابها في الليلة السابقة لم يكن أمامها ما تفعل. والأشياء القليلة التي بقي لها أن تضعها في الحقيبة دفعتها دفعاً دون ترتيب، وهي تعلم أنها ستندم على هذا عندما تجد مكاناً تقيم فيه. لم يعد يهمها شيء بعد الآن، ولكنها تأمل هذه المرة أن تكون قد تعلمت درسها وأن تكون قادرة على نسيان مارك.

في الطابق السفلي وجدت الفطور جاهزاً ورائحة القهوة تعبق في الهواء. وترددت سارة، فقد كانت متشوقة للذهاب قبل أن يصل أحد ليأخذها، ولكنها لا ترغب في إغضاب السيدة أوليفر التي كانت لطيفة جداً معها. وجلست الى المائدة على مضض، وأخذت تحتسي كوب من عصير الليمون. وحاولت تناول بعض الطعام إلا أنها لم تستطع ابتلاع أكثر من لقمة واحدة، والتفتت إلى السيدة أوليفر قائلة، وهي تضغط يداها بشدة على فنجان القهوة.



ـ شكراً سيدة أوليفر، أرجو أن تبلغي الرجل الذي سيأتي لاصطحابي أنني لن أحتاج إليه. لقد قررت عدم العودة إلى كوفنتري اليوم.

ـ ولكن السيد فينويك لم يذكر هذا!

ـ لم اشاهده هذا الصباح لأقول له.

ـ لو أنك استيقظت أبكر بخمس دقائق لشاهدتيه.

ـ لقد توقعت أن يكون تعباً بعد قضائه السهرة مع الآنسة جوريز. هل تقيم هنا؟

ـ لا أنها لا تقيم هنا، ولكنها ذكرت، قبل أن تخرج ليلة أمس مع مارك، أنها قد تفعل.

ابتلعت سارة ما تبقى من قهوتها ووقفت، وهزت يد السيدة أوليفر، مودعة شاكرة لها لطفها معها.

واستدعت سارة سيارة تاكسي، أقلتها إلى مسافة بعيدة عن المنزل، ثم اتصلت بصديقتها غوين. وارتاحت عندما ردت غوين وبدت مغتبطة لأن سارة هي التي تتصل، وبعد التحيات والسؤالات المعهودة، ذكرت لها سارة أنها ستقضي عطلة نهاية الأسبوع في لندن، وسارعت غوين تعرض عليها أن تستضيفها، ويبدو أنها بعد ذهاب سارة تزوجت من ضابط بحري، وأنه الآن في الخدمة.

ـ لقد استطعنا لتونا الحصول على شقة فخمة، يا حبيبتي، ولكنها تحتاج لبعض الترتيب، وسأبدأ هذا الأسبوع، وهكذا تستطيعين مساعدتي.

شقة غوين كانت أساساً في حالة جيدة. وموقعها جميل ولكن من الواضح أن هناك الكثير من الديكورات الداخلية بحاجة للاصلاح. صباح السبت اختارتا ورق الجدران والدهان، وعملتا معاً طوال نهاية الأسبوع، وشعرت سارة أنها غير قادرة على ترك غوين لوحدها وأمامها الكثير لاتمامه. واستمرت سارة بالدهان بينما ذهبت غوين الى المكتب في

بداية الأسبوع. يوم الاربعاء قالت لها سارة انها يجب أن تعود إلى «كوفنتري» صباح اليوم التالي.

ـ لم الاحظ أن الكثير من الاسبوع قد مضى. وإذا لم أذهب الآن لن يكون لدي وظيفة أعود اليها.

ـ وهل يهمك هذا كثيراً؟

ـ ربما لا.

ـ لا نزال لا نفهم لماذا ذهب م. ف. الى كوفنتري، لا يزال الأمر غامضاً.

ـ ما عدا أنه سيتزوج.

ـ يتزوج؟ أوه.. حسناً أعتقد أنك على صواب، فالآنسة غريغ مقتنعة أن هناك أمراً. ولكن إن كان يلاحق «الليدي غوديفا» فهو لم يلتقطها بعد. من تعمل سكرتيرة له في كوفنتري؟

ـ أنا.

ـ أنت! لم أكن لأحزر هذا بنفسي! انتظري حتى أعود الى المكتب!

ـ أرجوك غوين. أفضل أن لا تقولي شيئاً. اتعلمين، كنت سكرتيرة الرجل الذي كان يملك المؤسسة قبل شركة أسترو، وأنا باقية هناك لأسابيع قليلة فقط حتى يركز السيد فينويك عمله هناك.

ـ آه فهمت...

وتمكنت سارة من إدارة دفة الحديث بسؤالها عن زوجها، ولحسن الحظ استحوذ الحديث عنه كل وقت غوين قبل أي شيء آخر!

في الصباح التالي وصلت سارة إلى كوفنتري وذهبت رأساً إلى المكتب إذ أنها لم تجد الوقت الكافي للعودة إلى الفندق وتغيير ملابسها. الرسائل على مكتبها لم تتجاوز بريد يوم واحد وهذا يعني أن سكرتيرة السيد هارغريفز كانت مشغولة جداً. كانت الساعة بعد التاسعة، وكان كل شيء منظماً وما خلا بعض التحيات من بعض الموظفين بدا وكأن أحداً لم يلاحظ أن سارة كانت غائبة، ولا أنها عادت.



مكتبها كان مهجوراً، كذلك مكتب مارك، وذهبت الى غرفة إيداع المعاطف واستردت معطفها لتلبسه، وعندما عادت إلى المكتب وقفت أمام طاولتها وتثاءبت، ولكن لم يكن ذلك في وقته! فقد فتح باب المكتب الداخلي ليكشف عن مارك. كيف دخل الى هنا؟ وعندما استطاعت التقاط أنفاسها تمتمت:

ـ كيف... أعني متى أتيت؟

ـ حوالي الوقت العادي. هل أتجرأ وأسأل إذا كنت قد أتيت لتبقي أم في زيارة؟

الأمر إذاً أسوأ مما توقعت! وسحبت سارة نفساً طويلاً. لن تعتذر، ليس له! لم تستطع أن تفهم تماماً كيف ترتجف وتفقد النطق تحت وطأة نظراته القاسية. وبسرعة حاولت أن تتماسك.

ـ لا حاجة لأن تتذمر هكذا، أنني أستحق تماماً الأيام التي تغيبت فيها. أنا...

وتقدم نحوها وكأنما فجأة قد فقد اعصابه، وامسكها بخشونة. واسودت عيناه بغضب حتى أنها انكمشت بفزع، وهي متأكدة أنه سيصفعها. واشتدت قبضته عليها تؤلمها.

ـ للمرة الأولى في حياتي، يغريني أن أسبب لامرأة ضرراً جسدياً! ولكن هذا لن يكون الرد.

وأزاح يديه عن كتفيها وابتعد، وكأنما شعر بضرورة أن يكون هناك مسافة بينهما. وعندما استدار كان قد سيطر على نفسه ثانية، ولكن غضبه لم يزل تماماً.

ـ لم تتساءلي أبداً كيف لي أن أتدبر أمري دون سكرتيرة بينما أنت تتجولين في لندن؟ ورجعت وكأنك كنت تنامين في الحديقة. مما يبدو عليك من ارهاق أقول بأنك كنت تنامين فعلاً في الحدائق العامة ومع رفقة.

كانت سارة ترتجف كثيراً حتى أنها لم تقدر أن تتوقف.

ـ ما من شك أنك والآنسة جوريز تعرفان طرقاً متمدنة أخرى

تلتقيان بها. أوه... أعلم ذلك. أنا لا أريد أن أذكرها، ولكن هل هناك سبب يمنعني من التمتع؟ ها أنت بالتأكيد تمتع نفسك كثيراً؟

ـ لقد كنت قلقاً عليك لا على الآنسة جوريز. لم أكن أعرف أين أنت، وما كنت تفعلين.

وتطلعت به سارة بذهول. بالتأكيد، ليس بحاجة لأن يدعي بأنه كان قلقاً عليها. أو ربما لأنه يعتبر نفسه ببساطة مسؤولاً عن موظفيه، وخاصة عندما يؤثر الأمر على راحته الخاصة؛ ووجدت نفسها تعترف:

ـ كنت أساعد غوين... تعرفها، من المحاسبة، كانت صديقتي، لقد تزوجت وكنت أساعدها على ترتيب شقتها. زوجها في البحرية، وترغب في تحضير الشقة قبل أن يعود.

ـ فهمت... لو أنك بقيت هناك وقتاً أطول لعدت منهوكة، لا أريدك أن تفعلي مثل هذا الشيء مرة ثانية. متى وصلت؟

ـ هذا الصباح.

ـ حسناً آنسة شاو، يحسن بك أن تبدئي عملك فوراً، فأمامنا ما يكفي من العمل.

خلال النهار وجدت من الصعوبة أن تركز على أي شيء، لم تكن مندهشة عندما تذمر مارك عدة مرات من بعض الأخطاء، وقال معلقاً:

ـ الأمر واضح.. فعطلتك لم تفدكِ بشيء. وبما أن الساعة أصبحت أكثر من الخامسة اقترح ان تذهبي باكراً وتحاولي استرداد عافيتك على كل الأحوال لم أعد أتحمل رؤيتك بهذه البلوزة المجعدة. ولمرة واحدة حاولي ان تفعلي ما أقوله لك، آنسة شاو، دون جدال!

وابتهجت ساره كثيراً عندما عادت إلى الفندق لتجد أن عمها وزوجته قد عادا من فرصتهما القصيرة، وأمضت نصف ساعة تتحدث معهما. ثم صعدت إلى غرفتها. وهناك كانت سعيدة لأن تتخلص من ثيابها المتجعدة، وان تلتف بدثار خفيف، قبل الحمام. ومن سوء الحظ أنها عندما حاولت ان ترتاح قليلاً على فراشها غطت في النوم. كانت



الساعة قد بلغت السابعة تقريباً عندما استفاقت لسماعها كلود يدق بابها

ـ هل أنت هنا يا ساره؟ هل هناك شيء؟

وقفزت عن السرير باضطراب وهي لا تزال تقف نائمة، وأسرعت إلى الباب لتفتحه، ووجدت كلود يتطلع إليها بانزعاج.

ـ أوه.. يا إلهي! كم الساعة الآن؟

ـ قريب السابعة، حبي. لقد اكتشفت لتوي انك لم تظهري وهذا ليس من عادتك فاعتقدت أنك مريضة، أو ربما اصبت بحادث؟ «بابا» ارسلني هنا بأقصى سرعة.

ـ أوه.. أنا آسفة يا كلود، لم أقصد أن أغط في النوم، ولكنني امضيت أسبوعاً مزعجاً جداً.

ولم تشعر بنفسها إلا وقد انفجرت بالبكاء. وأسرع كلود إلى قربها فوراً وهو يمسكها بين ذراعيه.

ـ ساره! ما الأمر؟ ليس هذا من عادتك، يا صغيرتي! هيا اخبري صديقك القديم كلود.

كلود كان عزيزاً عليها ومعتادة عليه، وتعلّقت به ساره ببؤس. وهي تعلم أنها لا تقدر أن تقول له كل شيء عما يسبب لها القلق، ولكن ثقل همومها بدت وكأن من المستحيل أن تبقيها صامتة.

وبعد فترة قصيرة جداً لم يستطع كلود إلا أن يدرك أنها تحب، على الرغم من أنها لم تقل ذلك، وان حبها من جانب واحد.

ـ كفى يا عزيزتي. نادراً ما تكون الأمر بالسوء الذي نظنه. أعدك بأنك ستكونين سعيدة. لو أنك فقط...

ـ عذراً! لا أريد مقاطعتكم.

وأجفلهما صوت مارك فينويك وهو يقف بالباب، وأفلتت ساره من بين ذراعي كلود، غير ملاحظة الدموع التي لا زالت على وجنتيها البيضاوين. مارك هنا، وينظر إليها وكأنها غريبة! وجففت دموعها، وتملكتها رغبة في الانفجار بقهقهة هستيرية. إذا كان رأي مارك بها أنها

وضيعة سيصبح الآن رأيه أشد. وجالت نظرة كلود من واحد منهما الى الآخر وقال:

ـ أنا من يجب أن تعذراني. أمامي عمل، للأسف، سأراك فيما بعد يا حبيبتي!

وخرج كلود، وتطلع إليها مارك بقساوة. كلمة «حبيبتي» التي قالها كلود كانت تقف كالشعلة بينهما. وقال ببرود:

ـ لم يكن بحاجة لأن يذهب، ما سأقوله لن يستغرق سوى دقيقة. لقد أتيت فقط لأبلغك قراراً اتخذته بعد مغادرتك المكتب. فأنا أعفيك من مركزك كسكرتيرة لي ابتداءاً من نهاية هذا الأسبوع. هذا ما كنت ترغبين به، كما أعتقد. لقد تدبرت شخصاً آخر ليحل مكانك.

ـ مارك. . . .

وتابع مارك وكأنه لم يسمعها تتكلم.

ـ يبدو أن الأمر لم يتم حسب ما خططت. ولكنك على الأقل ستكونين سعيدة، وتستطيعين التركيز على مصالحك هنا. وأتوقع أن أراك صباحاً كالعادة.

في الصباح، شعرت بارتياح لأن مارك وصل قبلها، ولكنه خرج ثانية. ولن يعود إلا في وقت متأخر وترك لها رسالة يطلب منها أن تكون جاهزة لمرافقته في أمر له أهمية. حوالي الثالثة كانت مستعدة كما طلب، وأسرعت بالنزول إلى حيث كان مارك ينتظرها في سيارته. وعندما صعدت السيارة اندهشت لأن مارك لم يكن يرافقه سائقه.

غادرا كوفنتري، وكالعادة لم تكن ساره متأكدة إلى أين يذهبان ولم تحب أن تسأل لأن مارك بدا بعيداً بأفكاره عنها، بعد عدة أميال، ولأنها لا زالت متعبة، سمحت لأفكارها بالاسترسال نحو الماضي، وفي النهاية استسلمت للنوم. وعندما فتحت عينيها ثانية كانت السيارة تتارجح بهما في الطريق الوعرة التي تقود إلى بيت مارك الريفي. واستوت جالسة، وحاولت التحدث بطريقة عادية ولكن صوتها خرج وكأنه الهمس:



ـ لم نحن هنا؟

ـ انتظري وستعرفين!

وسحبت ساره نفساً عميقاً، دون أن تنظر إليه. لا لزوم لأن تتخذ موقفاً حول شيء مضى مع الزمن. فقد يكون مارك سيتوقف فقط ليتفحص شيئاً أو ليحضر شيئاً نسيه، ولن يكون ذلك بالطبع بسبب الذكرى.

وتوقفت السيارة أمام البيت، وتحرك مستديراً إلى الناحية الأخرى وفتح لها الباب إلى أن نزلت من السيارة

ـ من الأفضل أن تدخلي، فقد أتأخر.

وأخذ ذراعها دون مبالاة وقادها إلى الممر القصير، وعندما دخلا تركها فجأة وأقفل الباب، وتركها واقفة متوترة في الردهة واختفى في غرفة الجلوس.

كانت الردهة دافئة بسبب شمس الربيع، وبينما هي تنتظر بصمت، تنامى إليها، دون أي خطأ، صوت فرقعة الحطب: هل كان مارك يشعل النار؟ كم ينوي أن يبقى هنا؟

وبدأت رائحة الخشب المحترق تتسرب من الباب المفتوح، ولكن بعد بضع دقائق عاد مارك، ولم تكن ساره قد تحركت.

ـ ألن تتقدمي أكثر؟

ـ أفضل أن لا أدخل يا مارك!

وقبل أن تستطيع إيقاف الذعر الذي حاولت أن تسيطر عليه كان قد تغلب عليها. ولم تقدر أن تفعل شيئاً إزاء هذا وتصاعد صوتها محموماً وعيناها اسودتا بألم ظاهر.

ـ أرجوك مارك! لا أريد أن أبقى هنا، أرجوك لا تجبرني!

ولفترة طويلة لم يقل شيئاً، وبقيا يحدقان ببعضهما البعض، وقد شحن الجو بالتوتر بينهما. ثم فجأة تقدّم نحوها بخطوة واحدة وجذبها بقوة إلى ما بين ذراعيه.

ـ ساره. . . ساره. . يا حبيبتي، ألا تعرفين كم أريدك؟

وضمها إلى صدره وهو يحدق بها.

ـ هل تحبيني؟

ـ نعم! نعم يا مارك احبك. أنت لا تدري كم أحبك!

وبدأت تنشج متنقلة من السعادة إلى الدموع.

ـ ساره!

وحملها بين ذراعيه إلى غرفة الجلوس، واستمر في ضمها إليه، وكأنما هي لا تقدر بثمن ليتركها ولو للحظة. وقال لها متمتماً:

ـ أنا آسف لو أنني كنت فظاً معك. قد لا تفهمين، ولكنني لم أكن أعرف ما أفعل، حاولت أن أكون منصفاً معك، لقد كنت صغيرة جداً، يا حبي.

ـ لم أشعر بأنني صغيرة هكذا منذ وقت طويل.

ودفنت رأسها في صدره الدافىء. لم يقل لها بعد أنه يحبها، ولكن بطريقة ما كانت تميل إلى الأمل، والانتظار. القوة المنبعثة من ذراعيه كفيلة بإقناعها، ولكن أولاً يجب أن تقنعه أنها أصبحت كبيرة كفاية لتعرف ما تقرره بنفسها. ففي عينيه لا يزال هناك درجة من الشك.

ـ مارك، حبيبي لم أتيت بي إلى هنا اليوم؟

ـ لأنني مؤمن أنه المكان الوحيد حيث لا يقاطعنا فيه أحد. منذ أن أتيت إلى كوفنتري، بدا من المستحيل أن أحصل عليك لنفسي بشكل تام، دون أن يقف بيننا شيء أو شخص ما. لذا قررت أن هذا البيت هو الجواب الوحيد.

ـ ولكنك في الليلة الماضية كنت... كريهاً جداً!

ـ الليلة الماضية شعرت أنني كريه، يا عزيزتي، إلى أن تحدثت مع عمك رينيه.

ـ عمي رينيه؟

ـ أجل، العم رينيه! ولكن قبل أن نبحث هذا، أظن أننا يجب أن نعود إلى البداية.

كم كان رائعاً العودة الى هنا، إلى ذراعي مارك، ستقبل بهذا دون



أي كلام آخر. ولكنها شعرت أن الأمر مهم له، ومجرد التفكير بالبداية جعل وجهها يشحب، وجسدها يرتجف.

ـ ساره، تعلمين ان هذه هي الطريقة الوحيدة، وإلا لما اقترحتها، أنا أيضاً قد أفكر بأشياء اخرى ارغب في فعلها بعد أن نحل كل مشاكلنا، أنوي أن أضمك وأعانقك إلى أن تتوسلي إليّ طالبة الرحمة.

ـ مارك فينويك!...

ـ أذكر.. كيف شعرت عندما رأيتك أول مرة. منذ ذلك الوقت لم يعد قلبي كما كان.

ـ ظننت أنني أثرت غضبك أكثر من أي شيء؟

ـ لقد فعلت ذلك يا حبيبتي. أي أنني حاولت الاعتقاد هكذا. ولكنني حتى في ذلك الوقت كنت غير مستعد أن أتخلى عنك. أتظنين أنني كنت سأسمح لمثل ذلك الوضع أن يتأزم من أجل حقيبة صغيرة لو أنني ما كنت منجذباً لك؟ حاولت إقناع نفسي بأنها قضية جرّت إلى قضية اخرى، ولكنني كنت أعي تماماً ان هذا غير صحيح.

ـ عندها أتيت بي إلى هنا، أول مرة.

ـ ساره، لا تعرفين كم عانيت تلك الليلة، لم أكن أؤمن ان شخصاً ما يتمكن أن يكون بهذه البراءة، لم أكن متحضراً للمشاعر القوية التي أثرتها في كياني. لم أقع في الحب من قبل، وحتى في ذلك الوقت وأنت بين ذراعي، لم أكن مستعداً للاعتراف. تركت نفسي أعتقد أنك خدعتيني. ولكنني عندما تركتك أمام النزل، تملكتني رغبة مجنونة بالعودة إليك واختطافك إلى أقرب مكتب زواج مطالباً أن نتزوج فوراً.

ـ ولكنك لم تفعل.

ـ لا، وبدلاً عن ذلك، أمضيت أسبوعاً كالجحيم، في الخارج، وأعني ذلك حقيقة، وعندما عدت كنت أنوي التحدث عن المستقبل بجدية. لقد كنت صغيرة جداً وكنت مليئاً بالشكوك، ولكن في الوقت نفسه لم أستطع التخلي عنك. والحادثة التي وجدتك فيها مع ريتشارد كانت صدمة لي. كنت كشابة ميالة للتنقل من رجل إلى رجل.

ـ مارك، انك لم تفكر بي هكذا، صحيح؟

ـ أظن أنني فعلت يومها. ولكن فيما بعد، عندما انتزعت الحقيقة من ريتشارد، أدركت مدى خطئي. لقد كان يعلم أن زوجته ستأتي تلك الليلة. وكانا على خلاف منذ مدة، ولكن سيدته الجديدة لم ترغب في التورط في قضية الطلاق ووجد أنه من الأسهل أن تقوم فتاة اخرى بإثارة شقيقتي، ولسوء الحظ كنت أنت. الأفضل أن تنسي الأمر يا حبيبتي. لقد بدا لي الأمر أفضل في أن أتركك تكبرين وتقابلين رجلاً آخر.

ـ وهكذا قررت التخلي عني؟

ـ أجل، توصلت إلى الاستنتاج بأن ليس لدي بديل آخر. فالاستمرار بلقائك دون الزواج منك، سيقود فقط إلى شيء واحد، ولم أرغب في هذا لك.

ـ ولكن بعد ثلاث سنوات يا مارك لماذا تركت الأمر يطول؟ ألم يفت الأوان؟

ـ أرجو أن لا يكون يا حبيبتي، أعلم أن الوقت قد طال، ولكنني كنت أعرف أين أنت، ولو لم أعرف تماماً ماذا تفعلين. لقد تعمّدت الانتظار لأترك لك فرصة تكوين حياة خاصة بك. وكنت لا زلت صغيرة جداً إضافة إلى انك لم تحاولي مرة الاتصال بي؟

ـ وكيف أتصل بك يا مارك؟

ـ كل النساء اللواتي عرفتهن كن يتصلن بي بسهولة.

ـ ولكنك عدت أخيراً.

ـ أجل، لم أجرؤ على أن آمل أن تكوني أنت من ذكرها جورج دنت لي. وعندما اكتشفت ذلك، ظننت أن معظم مشاكلي قد انتهت، ولكن لم يكن الأمر بهذه السهولة.

ـ كنت خائفة أن أتألم ثانية. كما أنني اعتقدت أنك متورط مع الآنسة جوريز. عندما لحقت بك إلى لندن بناء لطلبك اعتقدت أنني من الأفضل أن أموت.



ـ ساره يا طفلتي، إذن هذا ما كان يقلقك؟ كان عليّ أن أجاريها لأن رئيس الشركة كان يفاوض أباها حول بعض الأسهم، وطلب مني ان لا أفعل شيئاً يغضب دولريس. في الواقع لم أحبها أبداً، وهي تعرف هذا.

ـ لم تكن أبداً مهتماً بي، كان بإمكانك إظهار اهتمام أكثر.

ـ ربما كنت خائفاً، ولكنني سأفعل في المستقبل. سأكون زوجاً غيوراً، يا حبيبتي، لذا احذري عندما نتزوج...

ـ مارك، لكنك لم تطلب مني الزواج بعد!

ورقّت عيناه وهو ينظر إلى الذهول في تعبيرها. ولكن روح المرح غادرت وجهه وتقدّم ليضمها إلى صدره وقال بصعوبة:

ـ لقد أحببتك أكثر من الحياة نفسها يا ساره، ولست وحدك من يشعر بالدوران في رأسه. لقد قلت لعمك انني أريد الزواج منك، وأتمنى لو توافقين؟

ـ أوه، نعم يا مارك.

وضمها بقوة أكثر، وكأنه سيحطم جسدها الرقيق، وهمس:

ـ هل أؤلمك؟

وهزّت رأسها بالنفي، ولم تحاول تخليص نفسها، وشد ذراعاه عليها بقوة اكبر، حتى شعر أنها تستسلم.

ـ مارك، أحبك!

ـ حبيبتي تأخر الوقت بنا كم احب قضاء الليل كله هنا، ولكني وقد انتظرت كل تلك السنوات، أظن أنني قادر على الانتظار بضع ايام أخرى.

ـ لو طلبت مني البقاء، لا أعتقد أنني قادرة على الرفض.

ـ أعرف ذلك يا حبيبتي، ولكنني لا أريدك أن تندمي، سأصنع بعض القهوة، وسنشربها أمام النار قبل ذهابنا.

ـ كما تريد.

ـ ليس كما أريد يا ساره. ما رأيك لو نقضي جزءاً من شهر العسل هنا، أول جزء منه؟

شعرت أن أي مكان مع مارك سيكون الجنة، ولكن في البيت الريفي ستكون جنة خاصة! ووافقت فرحة.

ـ بعدها سآخذك إلى جزيرة اعرفها على شواطىء اليونان، حيث الشمس والبحر فقط، وهذا يكفي، لأنني لا أريدك أن تهتمي بأي شيء أو بأي احد سواي، ليس قبل شهر أو اثنين على الأقل.

ـ أنت رجل أناني بطبعك.

ـ وأنوي أن أبقى هكذا، فيما يتعلق بك، يا سارتي الجميلة.

ورنّت ساره إليه، وقد أصبح قلبها في عينيها، غير قادرة على مقاومة الإغراء، وجذبها إليه اكثر. لم تعد تهتم ماذا تفعل أو أين تذهب طالما هي بقربه.

أحبك يا مارك! لقد أحببتك منذ بداية البداية.

وبتنهيدة صغيرة تعلقت به وأغمضت عيناها واستسلمت للعناق.